تطبيقات عملية للقواعد التربوية

تقديم

أناهيد بنت عيد السميري

غفر الله لها ولوالديها

ألقي في ذي القعدة ١٤٤٥ من الهجرة النبوية الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهرلكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهرلكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفرالله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء الأول يوم الخميس ١ القعدة ١٤٤٥ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. بسم الله، توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

نبدأ هذا الأسبوع إن شاء الله بهذه الدورة التي ستكون في أربع لقاءات، وكنا في الأسبوع الماضي والذي قبله مهّدنا لها. نعود لنتكلم بإيجاز عن المقدمة السابقة ونشرع في الكلام الجديد، بإذن الله.

بكلام مختصر مقصود الدورة:

من النص ← إلى التطبيق

يعني من النصوص التي نقرأها إلى التطبيق والمعايشة، وسيكون تركيزنا على النصوص التي فيها تربية للنفس وتهذيب لها وتصحيح لمعتقدها، وتصحيح لتصورها، هذه هي النصوص التي ستجدها في غالب القرآن، تصحح تصورك، تصحح اعتقادك، تصحح نظرتك للحياة، ومن ثم تصحح تصرفك.

وهنا سنعتمد على **قاعدة** غاية في الوضوح:

أن تصرفاتنا -الواقعية- فرع من تصوراتنا -القلبية- وتجاهل مثل هذا يؤدي إلى فقدان الوصلة الحقيقية المؤثرة في التصرفات.

كونك تركز على تعديل السلوك تعديلا شكليا، تقول عن نفس السلوك ماذا يجب علي لكي أكون مهذبة، فاحفّظ نفسي بعض الكلمات مثلا. ماذا علي أن أفعل من أجل أن أكون محسن لوالدي مثلا، فأحفّظ نفسي بعض الكلمات، أو أحفظ نفسي بعض التصرفات وأتصور أني لو فعلت كذا ساكن محسن، وهذا الخطأ الذي يحصل في تربية النفس، وتربية الأبناء، أن يقول لك أحد قولي كذا وافعلي كذا، سلوك محدد.

النقاش يقول حتى يحصل تعديل في السلوك لا بد أن يحصل تعديل في التصور الداخلي الذي في داخل نفسك، لما يحصل تعديل في التصور الداخلي، يحصل تعديل في السلوك الخارجي.

مع التصور الداخلي، سيأتي وصف أو رسم أو بيان السلوك الخارجي.

كنموذج بسيط، لما تسمع عن مسألة مثل الإحسان للوالدين، لا يوجد في أي نص قرآني أو من السنة توصيف مسلكي، بمعنى أنه لا يوجد أعطهم، امنع عنهم، أطعمهم، اسقهم، أشربهم، لكن ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وهذا فعل مطلق، كل ما يمكن أن تسميه إحسان افعله، وفي كل مكان وزمان وشخصية يكون الإحسان مختلف، لأن هذه الوالدة الإحسان إليها كذا، وهذا الوالد الإحسان إليه كذا، والدتي ليست مثل والدتك وليست مثل والدة فلان، فلا يوجد كتالوج سننقل من هنا ونضع هنا. أهم شيء أن يكون منطلق إراداتك امتثال أمر الله.

أخذنا جملتين مهمة في هذا النقاش:

١. موضوعنا من النص على التطبيق، ولا تتصور أننا سننتهي من القضية خلال هذه الفترة، بل سنأخذ المفتاح وهو موضوع طويل.
٢. أخذنا هذه القاعدة: أن تصرفاتنا التي نريد ان نعدلها هي فرع من تصوراتنا.

هذه التصورات كأنها نهاية ما جمعناه من علوم تعلمناها وفكرنا فيها، واستقرت في وجداننا، هذا هو التصور.

نشترط هذه الثلاثة شروط للتصورات:

١. أن تكون تعلمتها
٢. أن تكون فكرت فيها
٣. أن تكون استقرت في الوجدان

هل كل الناس متفقين على مصدر المعلومات -حتى الذين يقولون أنهم متديّنين- التي هي في النهاية التصورات؟

الجواب لا، حتى لو كانوا من حفاظ كتاب الله، حتى لو كانوا من مرتادي العلم، ليس شرط تصوراتهم منطلقة من هذا، لأنه يمكن أن يكون كأن هذا العلم كله مصبوب في مكان الحفظ، في مكان جمع المعلومات، لأن عندنا هذه الزاوية في حياتنا، في تفكيرنا يمكن أن نجتهد أن نحفظ، نجتهد أن نجمع معلومات، لو سألنا عن معلومات عامة تكون عندنا، لكنها ما انتقلت من مرحلة أن تكون معلومات إلى مرحلة أن تكون تصورات.

وأبسط مثال الدنيا؛ كم في القرآن والسنة تصوير لها؟ الله -عز وجل- ضرب للدنيا ثلاثة أمثال في القرآن، عادة في القرآن الموضوع الواحد يُضرب له مثل واحد، الدنيا ضرب لها ثلاثة أمثال في سورة يونس وفي سورة الكهف وفي سورة الحديد، والنبي ﷺ قد أخبرنا عن حقيقتها كلام كثير. وهذه الأمثال ليست الثلاثة فقط عن الدنيا، بل حذرنا رب العالمين، في سورة فاطر ولقمان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب واضح، ثم قال: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

توجد معلومات والناس يحفظون هذه الآيات... هل هذا العلم هو نفس التصور؟ لا، كيف يظهر؟ في التصرف. هذه هي نقطة التركيز؛ أن تكون عندنا معلومات كثير لكن لا تستطيع أن تقول أن معلوماتك هي مصدر تصوراتك. لكي أقول من النص إلى التطبيق يجب أن أحوّل المنصوص إلى تصور، وهذه هي الأزمة، كأنّ حُسْن التصرف نتيجة من الجهد المبذول في تصحيح التصور.

دائما نركز عل تحسين التصرف، لا على تصحيح التصور. لذلك لما يقال أنا متضايق، عندي اكتئاب، يقال له لنسافر. هذا نفسه من الداخل مكتئب، سيذهب، حتى لو مارس بعض الأشياء البسيطة ثم يعود مثلما هو، والسبب أن الداخل ما تغير، وهو التصور.

وهكذا فكر في كل الأشياء، حتى لما نفترض حلول لأنفسنا، دائما نأتي بحلول خارجية، كأنها تسكن الموضوع، والتصور الحقيقي يبقى كما هو ويبقى الإنسان كما هو في داخله.

في التربية مثلا، ابننا مهما فعلنا له لا يقتنع، مهما أطعمناه، مهما سقيناه، مهما أخرجناه يعود كما هو، طول النهار نروّح عنه ولما نعود إلى البيت يقول أنا طفشان! فيستفزك، فتخرب كل ما فعلته طول النهار. هذه الحلول خاطئة من أولها، والسبب أنه لا وجد في داخله قناعة، في الداخل لا يتصور الحياة، مجموعة تصورات خطأ تجعله يتصرف بهذه الطريقة.

نتفق على أن تصرفاتنا فرع من تصوراتنا. إصلاح التصرف إنما يبدأ بإصلاح التصور، لذلك آية النبي ﷺ الخالدة الباقية، آية الدين الباقي إلى قيام الساعة هو كلام الله المصلح للتصورات. اتفقنا أن النصوص هي التي تصلح التصورات. ما هي النصوص؟ كلام رب العالمين. النصوص هي التي تصلح تصورك، وإذا صحح التصور صحح التصرف.

الكلام السابق يقول أننا حفظنا كثير من النصوص ونحن نرددها لكنها ما وصلت أن تكون تصورا في وجداننا، هذه هي الفجوة.

تقول هذه الآية قرأتها، وفهمتها وحفظتها، لكني في المواقف لا أنفعل بها. نقول هناك مرحلة مهمة تحوّل النص إلى التطبيق، وهذه المرحلة هي تحويل هذا النص إلى تصور.

وظيفتنا في اللقاءات أن نأتي بنماذج ونناقشها إلى أن نتصور في وجداننا كيف نحول هذا النص إلى تصور، ومن ثم يحصل تصرف، لكن في البداية يجب أن تقتنع أن المسالك نتائج من التصورات.

لما تنظر للصحابة الكرام، ما الذي حصل لهم ببعثة النبي ﷺ؟ انتقالة في التصور. تصوروا الحياة بطريقة مختلفة وتصرفوا بطريقة مختلفة، هذه هي الحقيقة؛ كلام الله نقل تصور هؤلاء الأصحاب الكرام عن الحياة وعن كل شيء حولهم، نقل تصورهم إلى ما يريد رب العالمين فانتقل تصرفهم. النبي ﷺ ما كان يوجه كل واحد في تصرفه، فإذا صلح التصور صح التصرف.

هذه هي أزمتنا طول الوقت؛ كيف أكون إنسان رشيد، كيف اتصرف بالطريقة السليمة، كيف أتعامل مع المواقف بالطريقة السليمة، هذه هي أزمة الإنسان في الحياة، كيف اتصرف بالطريقة السليمة، فدائما أبحث عمن يصف لي بالدقة، وهذا هو ما جعل كثير من الأفكار، وكثير من الناس الذين اعتلوا هذه الموجة؛ موجة إحساس الإنسان أنه محتاج إلى مرشدين فشرّقوا وغرّبوا بالناس، ومن أتى بأفكار، ومن قال أبرمجك هذه البرمجة وأنت عبارة عن كيكة، سنضع المكونات ونضعك في الفرن ونخرجك من الجهة الثانية طازج، جيد، ما عندك مشاكل، لا توجد مجاهدة، أشعروا الناس بهذا! وهذا أتى بجريمة جديدة، يقول الناس جربنا كل الطرق وما ظهر معنا إصلاح، فكانت النتيجة زيادة يأس وإحباط من نفس الإنسان، وإحساسه أنه جرب كل الطرق، سيركب أي مركب يناسبه، سيركب مركب هواه فلا حل في نفسه.

نعود إلى نقطة تفهمك أن الشريعة أمرتك بهذا الشيء، وأنت تمتثل بأمر الشريعة، لما تفكر بالنص، تخرج النص من كونه نصا مقروءا مقدسا محفوظا إلى كونه تصورا تعيشه وسلوكا تمارسه.

الناس يمرون العرصات بعفو الله ويدخلون الجنة برحمة الله. نأتي لتقاسم المنازل، في التقاسم أعمال كثيرة، لكن من أشرفها حافظي كتاب الله، في الحديث: ((يقالُ لصاحِبِ القرآنِ اقرَأ وارقَ ورتِّل كما كُنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها))[1] من هو صاحب القرآن؟ اختلف أهل العلم بين أن يكون صاحب القرآن هو حافظه، وبين أن يكون هو المصاحب له الذي لا يفارقه، واختلفوا هل يجب أن يكون حافظ أو يكون القرآن معه دائما، حتى لو لم يكن حافظا له؟ لكنهم

(١) أخرجه أحمد في مسنده.

اتفقوا على نقطة تحل المشكلة، وهذا الاتفاق أتى من النص، العامل به. صحب القرآن في النهاية هو العامل بالقرآن، كنا على قول من قال الحافظ له، أو كنا على قول من قال الملازم له، الصاحب يعني الملازم، هنا يوجد شرط، حتى لو لم تحفظ، لكنك شخص ملازم للقرآن.

هذا النص المقدس الذي بين أيدينا، الذي نزل من عند رب العالمين، تكلم به الله ويسّره على لسان الخلق، وحفظ من الزمان الأول وسيبقى محفوظا على أن تقوم الساعة، هو النص الذي يكون لك تصورك، تحوله من كونه نصًّا مقدّسًا إلى تصورًا دالًّا مرشدًا، وهذا هو دورك.

هنا نقطة ثانية مهمة يذكرها أهل العلم، وهو أن الحافظ لا يتذكر إلا الآيات التي عمل بها.

في النهاية ليس المقصد أنك تحفظ وتقرأ بلسانك والوجدان خالٍ من تصور المعاني، ولا هذا ظن تظنه برب العالمين، ولا يصح لك أن تظن أنه نزل القرآن حتى نتلوه بألسنتنا وتكون أفئدتنا فارغة من معانيه.

هذا النص المقدّس يجب أن يتحول إلى تصور، والتصور يوصلك إلى السلوك. تقول كيف أعمل بالقرآن؟ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، أقمنا الصلاة، ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، استجبنا، وباقي النصوص التي هي أخبار، ماذا أعمل بها؟ هذا ما يجب أن تعرفه وهذا هو مقصود هذه اللقاءات إن شاء الله، سواء في هذا الشهر المبارك، الشهر الحرام، أو إذا مدّ ربنا في الحياة، بعد عودتنا من الحج. بعد شهر رمضان المبارك الذي قرأنا فيه القرآن، يجب أن نعرف أن شهر شوال الذي مر علينا وشهر القعدة، يراد منك أن تحول هذه النصوص إلى انفعالات حتى تكون النتيجة في عشر ذو الحجة هي كثرة ذكر رب العالمين من المعاني ومن التصورات التي استقرت في وجدانك.

سنحول هذا النص إلى عمل، ركّز تماما أن السلوك الإنساني، المعاملة الإنسانية، الأخلاق؛ هذه كأنها الثمرات. تربيتنا لأنفسنا، تربيتنا لذرياتنا، هذه كأنها الثمرات التي نقطفها، لذلك يجب أن نتفق أن المسالك، السلوك، تحسين الأخلاق، هذه كلها عبارة عن ثمرات نقطفها من خيرات تصحيح التصورات. كلنا نبحث عن أخلاق حسنة، هذا مطلوب، كلنا نحاول أن نربي أبناءنا كما ينبغي، هذا مطلب ويجب أن يكون أمام عينينا، لكن هذا عبارة عن ثمرة، نتيجة، تقطفها بعد ما تزرع، تبذر معاني وحقائق في وجدانك.

أنتِ كأم تريدين تربية أبنائك، أو كشخص تريد تربية نفسك، اعتبر السلوك الحسن لنفسك وللأبناء عبارة عن ثمرة، قبل الثمرة يجب أن يكون هناك بذر وسقي، ثم يأتي وقت الحصاد. دائما نتصور أن الحصاد يأتي فورا.

لما نتكلم عن تحسين السلوك، تعديله، تربية النفس، تربية الأبناء، كل هذا الموضوع الحمد لله عندنا نصوص كافية ترشدنا لمثل هذا. نقصد بالنصوص القرآن والسنة، لكن سيكون تركيزنا في هذه الفترة على القرآن، اعمل به ستكون النتيجة أنك تجد الثمرة المرادة.

السؤال؛ كيف أعمل به؟ سنعمل به لما نعرف ما في القرآن، فكنا اتفقنا سابقا أن القرآن فيه ثلاثة مباحث أساسية:

١. أخبار عن الله.
٢. أخبار عما كان وما سيكون وعن الإنسان.
٣. الأوامر.

هذه الثلاثة أمور كل واحد فيها فيه عمل، وكل واحد فيها فيه تصور يوصلك إلى السلوك. لما نفكر في تعديل النفوس، في تربية النفس، إلى آخر هذه الكلمات، بجب أن تعرف أنها عبارة عن ثمرات تقطفها نتيجة لتصورات بذرتها وسقيتها ثم تقطفها، فالجهد في تربية نفسك وتربية غيرك في تصحيح التصور.

أرأيت هذا الكلام والحوار الذي بينك وبين نفسك وبينك وبين أبنائك وبينك وبين من تربي، هذا الذي تستهين به، نرى الحوار بيننا وبين أبنائنا كأنه عملية تكميلية، وكلما تكلمنا معهم وناقشناهم نشعر أنك أتعبت قلبي، لا نريد أن نكثر كلام مع أن المرأة مخلوقة كثيرة كلام من أجل أن قدرتها على الكلام حتى تحاور وتناقش وتعطي وتضرب امثلة وتعيد وتزيد. فنحن نشعر أن هذه الجهود ضائعة، والمفروض ألا يتعبنا أحد، والمفروض لمجرد أن أرشدك ترشد!

لو رب العالمين خاطبنا بالطريقة التي نفكر بها لكان القرآن كله صفحتين، افعل ولا تفعل، فقط وانتهينا. لكن القرآن احترم الإنسان، رب العالمين جعل للإنسان كرامة وخاطب عقله، وأفهمه وقرب له الأمثلة، وبيّن له المسالك، كل هذا الذي نقرأه في القرآن كلام من رب العالمين لنا، هذا المنهج هو المنهج التربوي، فلا نشرق ولا نغرب في مسألة تربية أنفسنا وتربية أبنائنا، إنما هذا هو المنطلق للتربية،

من النص إلى التطبيق، النص مقدس أمامي، أنا أتعامل معه معاملة من يأخذ منه الحق وهو كله حق، وينقله إلى الخلق؛ والخلق إما أنا وإما من هم تحت يدي.

فلا تتصور أن المسالك التي يسلكها الإنسان إنما هي نتائج مجموعة أوامر، لو كان هكذا فالقرآن مجموعة أوامر.

لما ربنا أمرنا بالإنفاق، نموذج له سورة الحديد، تصور سورة الحديد من أولها إلى آخرها فيها موضوعين أساسية؛ الإيمان بالله والإنفاق في سبيل الله. تصور أن هذه السورة التي هي ثلاث صفحات ونصف، من البداية يقول لك ربنا مرتين أن له ميراث السماوات والأرض، فأول ست آيات في سورة الحديد تخبر عن الله انه الأول والآخر والظاهر والباطن، كله لتعرف أن ما بين يديك هذا من عند رب العالمين، ومرتين يقول لك ربنا ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حتى تعرف أن الذي بين يديك ليس لك، ربنا أعطاك إياه وربنا هو الذي سيرثه، فانت أنفق مما رزقناك.

في نفس سورة الحديد تسمع مثل الحياة الدنيا، وكيف سابقوا إلى جنات، كيف يخبرنا عن القضاء والقدر وأنك لن تأخذ إلا ما قدر لك! لا توجد لقمة واحدة زائدة ستأخذها، حبست المال أو أعطيته لن تأخذ لقمة واحدة زائدة، بهذا تفهم أن القرآن لما يريد أن يوصلك إلى أمر، لا يقول لك افعل فقط، إنما يصحح تصورك تصحيحا تاما إلى أن تصل إلى السلوك السليم. فهمت هذه الطريقة في القرآن؟ المفروض تفعلها في الحياة، تستوعب مثل هذا وتصل له.

أربي نفسي ومن تحتي بالقرآن، التربية منطلقها النص المقدس، هذه الكلمات كلها كررها على نفسك وافهم طريقة القرآن حتى تستفيد في مسلكك. القرآن ماذا يوجد فيه؟ ثلاثة أمور:

أولها الخبر عن الله، وثانيها الخبر عما كان وما سيكون وعن الإنسان، وثالثها الأوامر القرآنية، والأوامر كلمة واسعة جدا. الذي سنهتم به جدا هو النوع الأول وهو الخبر عن الله، قلنا اننا يجب أن نحول النصوص إلى أعمال، ما هو العمل الذي في النهاية يجب أن أصل إليه من مجموع ما أخبرني الله به عن نفسه؟

الجواب حسن الظن بالله. تصور من كل ما تقرأه عن الله وتسمعه عن الله يجب أن يستقر في وجدانك حسن الظن بالله، ((لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلّا وَهو يُحْسِنُ باللَّهِ الظَّنَّ))[١] هذه كأنها المحصلة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

الأخيرة من كل التصورات التي صححها. سنأخذ نموذج واحد اليوم، فيه خبر عن الله، ومن ثم يأتي حسن الظن به سبحانه وتعالى، لأن كثير يمكن أن يختلط علهي حسن الظن بالله، هناك أناس كثر ركبوا موجة حب الناس للرشاد، حب الناس للسلوك الحسن، ركبوها وأتوا من عندهم بمفاهيم، فهناك أناس اول ما تقول لهم حسن الظن بالله يأتون بقانون الجذب، ويقولون حسن الظن أنت تمنى فقط ثم تأتيك أمنيتك، وهذا من أفسد ما يكون من المعاني. حسن الظن بالله واسع، ومن سعته إلى درجة أنه لا يمكننا جمعه ولا في عشر لقاءات، بنود حسن الظن بالله كثيرة. اليوم سنتكلم عن بند واحد من حسن الظن بالله، وإذا تيسر لنا سنضيف الثاني.

نتذكر آية في سورة فاطر ثم نفكر أين حسن الظن به.

نعيد الكلام مرة أخرى؛ المفروض كل العلوم التي تتعلمها من النص المقدس، من القرآن، تحولها إلى عمل، من علوم القرآن العلم عن الله، ما هو العمل مع العلم عن الله؟ لأنك تقول انا أعرف العمل؛ أقيموا الصلاة وأنفقوا انا أعرف أعمل، لكن أنت تقول أن كل القرآن فيه عمل؟ نقول نعم كل القرآن فيه عمل، القرآن فيه ثلاثة أشياء؛ علوم عن الله واخبار وأوامر، تعال إلى العلم عن الله هل فيه عمل؟ الجواب نعم، ما هو العمل؟ حسن الظن بالله، من الذي يعمل هنا؟ هذا عمل القلب، ((إِنَّ اللهَ تعالى لَا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ، ولكنْ إِنَّما ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم))[1]، وقتما يعمل هذا القلب الله ينظر إليه.

إذن حسن الظن بالله ماذا تسميه؟ عمل قلبي، ناتج من ماذا؟ من معرفة، هل المعلومات التي نعرفها عن الله وراءها عمل؟ الجواب نعم، ما هو العمل؟ حسن الظن بالله، لأن العلم عن الله صار مثل الثقافة، كونك تعرف معاني الأسماء ليس هذا هو المقصود، هذا هو الوسيلة للنتيجة، ما هي النتيجة؟

حسن الظن بالله. من يعرف الله المفروض أن يكون أحسن الظن بالله، هذا عمل القلب.

لما نقول عمل لا تركز على الجوارح، بل ركز على القلب الذي هو مدار نظر الرب، محط نظر الرب قلب العبد، وهو الذي فيه مجموعة الأعمال العظيمة ثم تأتي المسالك.

نريد أن نعرف معلومات تجعلنا نحسن الظن بالله.

---

(١) صحيح الجامع.

توجد معلومة مهمة؛ حسن الظن بالله عبارة عن روافد كثيرة، المفروض ان تكون محسن الظن بالله -ونضرب أمثلة- أن شرعه كله حكمة ورحمة، لكن ليس فقط كلام، يجب أن تكون فكرت وفكرت في مسالة تتصل بأحكام النساء، مثلا، لنفترض من أجل الشبهات التي مرت والتي تصدر لنا، كلها دائرة حول هذه المرأة المسكينة، وأن أحكام القرآن تظلمها، أنت تعرف ربنا؟ هل أنت متأكد؟ المفروض نتيجة معرفتك حسن الظن به في الشرع، أن كله حكمة ورحمة، هل فقط كلام ومن الداخل فراغ؟ ربنا يعلم ما في القلوب. هذه المنطقة لا يجب أن تكون فراغ، قبل أن تأتيك الشبهات يجب أن تكون كل هذه المعاني على ما تستطيع، ألم تقرأ القرآن وتريد يوم القيامة ان يقال لك ((اقرَأ وارقَ ورتِّل كما كُنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها)) ولا يقرأ ولا يتذكر إلا من عمل؟

سورة النساء، مثلا، وهذه سورة الطلاق، مثلا، تشعر أن فيها نصوص لا علاقة لك بها، تقول الحمد لله نحن مستقرين وما عندنا موضوع الطلاق، لكن هو ليس في التطبيق، في العمل، في الحياة، ما ظنك برب العالمين؟

فتقرأ وتفهم حتى تصل أنه ينطق قلبك قبل لسانك وتقول (ما أحكمك يا رب العالمين)، هذا هو المطلوب، هذا هو العمل، أن الفؤاد قبل اللسان بعد أن يتعلم ويحسن تصوره يقول ما أحكمك يا رب العالمين، ما أرحمك يا رب العالمين، ما أعظمك يا رب العالمين، هذا المفروض أن نصل إليه، هذه هي حقيقة حسن الظن، فحسن الظن له روافد كثيرة، من أخطرها رافد الشرع.

هل تتصور أنه يمكن أن يشرع ربنا العليم الحكيم الرحيم للناس شرائع ما تكون على الحكمة والرحمة؟ مشكلتك لو ماتشعر لأنك ما تعلمت، وما في الوجدان هذا الذي يزعجك، غدا لما تنشر الدواوين يصبح علامة حمراء، يصبح علامة خطيرة في علاقتك مع رب العالمين، يصير في ميزان السيئات لأن هذه ظنون سيئة في رب العالمين. لكثرة ما يقولون أن المرأة مظلومة تشعر أنك لا تريد أن تفكر في الموضوع، لكن في داخل نفسك تشعر أنك مظلوم بدليل، وتضع لنفسك كلمات ثم تحاول أن تبعد الكلام عنك. لا تجعل في صدرك أي حرج من المعنى، وتعلم عن الله، وتعلم عن شرعه، وتعلم عن حِكَمه، واقرأ وافهم كل مسألة تشعر في نفسك فيها حرج حتى تتحول الأخبار إلى حسن تصور ثم إلى عمل، ومن ثم يكون في الميزان.

لا نقول ادخل الشبه، بل نقول ادخل العلم الذي يورثك الإيمان بالله، الأخبار عن الله تورث حُسن الظن بالله. يقرأ الإنسان ويتعلم حتى يصل على مشاعر ينطق فؤاده بعظمة الله قبل لسانه.

هذا الكلام كله نقوله حتى لما تأتي عشر ذي الحجة إن شاء الله، ونحن كلنا سالمين وبصحة وبعافية وبزيادة إيمان، لما يأتينا الذكر الذي هو شعار العشر، يكون الذكر قد تواطأ فيه اللسان على القلب؛ القلب مليء بتعظيم الله وإحساس بحكته وبرحمته وبقربه سبحانه وتعالى، بأنه يسمعك ويراك، لا يتركك، هذه المشاعر موجودة في فؤادك فلما تنطق تقول سبحان الله والحمد لله والله اكبر ولا إله إلا الله، يكون هذا اللسان قد تواطأ مع الوجدان، الفجوة الكبيرة التي نشعر بها أن اللسان يقول كلام والوجدان تائه، والسبب أن الوجدان ما تغذى بما يقويه.

هل لأن ما عندك غذاء لوجدانك لذا لم تتغذَّ؟! القرآن هو الغذاء فما بالك لم تتغذ؟ ما الذي منعك عن التغذية وكله صحة وعافية؟ هذه هي مشكلتنا.

سنأخذ واحد من الروافد المهمة جدا في حسن الظن بالله، وهو حسن الظن بالله أن ربنا ناصر دينه، هذا مؤكد، ونعيش على هذه المشاعر.

سنناقش آية واحدة ونقول انظر كيف تعتقد بربنا وتربي نفسك ومجتمعك وأبنائك عليها، لأنه لا أحد يتكلم في التربية إلا يجب أن يعرف ربنا، التربية هي تحويل الشيء من حال النقص إلى حال التمام، ومنها اسم الرب، الرب هو الذي يربي عباده، ومن تربيته نربي أنفسنا ونربي أبنائنا. أي أحد يتكلم في التربية يجب أن يكون منطلقا من عند رب العالمين الذي ربى الخلق. تقول الحمد لله الذي اسمه رب العالمين، ربانا وربى جميع العالمين بنعمه. فالتربية لله، وهو الذي علمنا مسلك التربية.

سنأخذ هذه الآية، ونعرف المعارف عن الله، ثم نقول كيف نصل إلى حسن الظن بالله. نأخذ الآية العاشرة في سورة فاطر.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾

ونعتبرها من أول رسائل التربية التي ستربي بها، التي ستناقشها وتكلم بها نفسك وتكلم بها من تربي. إلى كم قسم يمكن أن نقسمها؟ ثلاث جمل:

١. مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
٢. وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ
٣. وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ

الأولى خبر عن الله، والثانية أثر لهذا الخبر، والثالثة أيضا أثر لهذا الخبر.

الخبر عن الله ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، نركز في هذا، أنت المفروض أن يكون هذا إيمانك برب العالمين، أن العزة إنما هي لله.

نلاحظ أن الناس في تصرفاتهم، في اجتماعاتهم، على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة، على مستوى أكبر وأكبر، كلهم هناك شيء يدور حول اجتماعهم، وهو أنهم كلهم يريدون العزة. حتى لما يجلس اثنين من الصغار معا، وكلٌّ يعلو على الثاني، في أي موضوع يعلي عليه، هو يقول له كذا وهو يقول كذا، ماذا يريد؟ أن يعتز عليه، أن يطلع فوقه، أن يكون أعلى منه.

إذن هذه سر داخل النفس، أن الناس يريدون العزة ولذلك أنت تجدهم يأتون بموضوع ويجتمعون عليه مودة بينهم حق كان أو باطل، يجتمع الناس يريدون العزة، يريدون أن مبدأهم أو فكرتهم ترتفع. هذه إرادة خفية في النفس الإنسانية لا يمكن تجاهلها. فرب العالمين أخبرك عن نفسه، هذه صفة الله، ما صفة رب العالمين؟

﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ وهنا معنى يطول النقاش فيه، ما معنى العزة لله جميعا؟ يعني هو سبحانه وتعالى العزيز، وهو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء. لذلك تجد في القرآن كثير من المواطن تكلمك أن بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

انظر في أول هذه السورة، في الصفحة التي تسبقها مباشرة، واقرأ الآية الثانية ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)﴾. بهذا ستأتي بمعاني العزة، وكيف أنه سبحانه وتعالى له العزة المطلقة.

الله يقول لك ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ كل أنواع العزة التي تتصورها، كلها لله سبحانه وتعالى. في هذه العجالة الموضوع لن يأخذ حقه كاملا، لكن هذا هو الخبر عن الله، وأنت تزداد معرفة ما هي العزة.

هذا التصور الذي في نفسك ماذا ستردد في المعرفة عن الله؟

في الهامش: أن النبي ﷺ يقول ((ليسَ مِنَّا مَن لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرْآنِ))[1] ويتغنى بالقرآن له معان كثيرة منها يستغني به عن غيره، وهذا نتمنى أن نصل إليه، ومن معانيها التغني، قالَ النَّبيُّ ﷺ لرَجُلٍ: ((كَيفَ تقولُ

(١) رواه البخاري في صحيحه.

في الصَّلاةِ))، قالَ: أتَشَهَّدُ وأقولُ: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الجنَّةَ، وأعوذُ بِكَ منَ النَّارِ، أما إنِّي لا أُحسنُ دَندنتَكَ ولا دَندنةَ مُعاذٍ. فقالَ النَّبيُّ ﷺ: ((حولَها نُدَنْدنُ))[1] التغني بالقرآن آية استقرت في وجدانك وفكرت فيها وفكرت، ماذا ستفعل؟ سترددها، ستفكر فيها ثم تجدها تخرج على لسانك، بهذا يصبح صاحب القرآن، الذي يصل أن يدندن بآياته.

أهم شيء تدندن به الأخبار عن الله. ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، تأتيك الأخبار من هنا ومن هنا، والناس مجتمعين، والناس يعلمون مؤتمرات لأنفسهم، فتقول ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، هذه التي تقولها لنفسك والتي تدندن بها الخبر عن الله، والتي تتصورها. انظر كيف هذا سيورثك من العزة والشجاعة ما الله به عليم، ما به ترى المستقبل.

قد قلنا في اللقاءات الماضية أن الذي يجعل القرآن مصدر لتصوراته يستشرف المستقبل بدون كهانة، ليس هو كاهن ويعرف ما في المستقبل، لكن بهذا العلم يعرف ما سيكون في المستقبل، فلما رب العالمين يقول لك ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾، كل الناس يريدون العزة، في الحقيقة ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾.

هذا الخبر عن الله، تصورناه جيدا أن العزة لله وأن الله يرفع من يشاء ويخفض من يشاء، وأنه سبحانه وتعالى بيده الملك وأن هناك اختبارات كثيرة للخلق في مسألة العزة، وأن الناس يمكرون، وسيظهر لنا من يمكر ومن يعمل صالحا.

بعد هذا الخبر عن الله يأتي خبرين عن فئتين، ما هي الفئتين؟ من هم أهل العزة على الحقيقة؟

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ هؤلاء الذين يسيرون إلى العزة، هؤلاء الذين سيأخذون العزة الحقيقية. اترك عنك الأوهام وركز في الحقائق؛ أن هناك قوم، هؤلاء هم أهل العزة عد رب العالمين، الذين عندهم وصفين، بهذه الطريقة تصل العزة ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يعني بكلام مختصر هؤلاء الناس مسلكهم أولا مشغول بالله، يعرفون أن العزة من عند الله، هؤلاء اكيد أنهم مشغولين بأن العزة من عند الله، فهم متجهين لأعلى، وهذه المعاني واضحة جدا في سورة المعارج، وانظر لاسمها، المعارج، الناس الذين يصعدون، الذين يعرجون، الذين يعلون، الذين مسلكهم يوصلهم وهم في الدنيا إلى الله ذي المعارج؛ الذي يعرج إليه الناس بأعمالهم، أنت في الأرض، لكن كلامك أين يذهب؟ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، الله العزيز الذي يعز من يشاء، أنت في الأرض تخرج من لسانك كلمة تشعر أن الكلام يصعد ثم أنت ترتفع بهذا الكلام، لأن هذا مناسب جدا،

---

(١) صحيح الجامع.

العزة هي الارتفاع، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، الكلام الذي تقوله يصعد. وأيضا يمكن أن تكون تكلمت لكن ما عندك أعمال، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ تجمع بين الكلام الطيب والعمل الصالح، الكلام الطيب الذي نتج عن تصور صحيح والعلم الصالح الذي هو ناتج هذا الكلام.

الكلام الطيب هذا الذي يخرج من لسانك والعمل الصالح الذي يخرج من جوارحك، كله خارج من الوجدان المليء بالتصورات الصحيحة، ثم يصعد، يرفعه، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، لاحظنا كيف يصعد ويرفعه مناسبة للعزة، أنا عقيدتي في الله أنه ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، لا يغرك ما ترى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، الناس في الأرض متساوين، كلهم يسيرون على الأرض لكن هناك أناس مرفوع كلامهم إلى السماء، مرفوعين بالعمل الصالح الذي يقومون به.

الطرف الثاني سيفهمك الطرف الأول أكثر، الطرف الثاني هم ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ هذه العزة ينازعها طرفين، طرف يركز مع رب العالمين، كلامه طيب وعمله طيب، نتيجة تصورات صحيحة، وهناك طرف آخر وهم جماعة يمكرون، ينازعون رب العالمين في عزته، يريدون أنّ يعز الباطل. إذا تصوّرت أنّ أهل الإيمان يريدون عزة الله وعزّة الحق، فهناك قوم يريدون عزّة الباطل، ولأجل عزّة الباطل ماذا يفعلون؟ سماهم رب العالمين ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، ما بهم؟ ماذا أخبرك؟ ماذا طمأنك رب العالمين؟ أولا ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يجب أن تعرف هذا، ثم سيسير مكرهم في الدنيا وينجح؟ كن مطمئن ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾. هم ما تكلموا السيء، هم ماكرين، وسيظهر لنا هذا المكر. أين الخبر عن الله الذي يصحح التصور؟

الخبر عن الله أن لله العزة جميعا، ما هو عمل القلب هنا؟ نحن مطمئنين أن العزة لله جميعا، مطمئنين أن الذي يسير على الطريق السليم يصعد كلامه، ويرفع عمله، مطمئنين أن الماكرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾. نحن مطمئنين، في الواقع يجتمعون أو لا يجتمعون، يفعلون أو لا يفعلون، يعلنون، نحن مطمئنين، لما يقال لنا حصل كذا وكذا، وهؤلاء اجتمعوا لينشروا، نقول ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ سنخرج إلى فرعين:

الفرع الأول لما رب العالمين قال عن هؤلاء ﴿وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾.

انظر إلى نفس السورة إلى الآية ٢٩، تسير معك كلمة يبور، ﴿مَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، في مقابل ذلك ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾. يتلون كتاب الله، يقرؤونه، يتابعونه، ﴿وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، وهؤلاء الذين يصححون تصوراتهم، يتبعون القرآن ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾. التصورات فوق بعضها، العزة لله جميعا، و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ممن؟ انظر إلى الآية ٢٨ و٢٩، العلماء ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ هؤلاء العلماء هم الذين منهم ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

ما معنى ﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾؟ يعني يقرؤونه بألسنتهم ويتابعونه بوجدانهم، يا رب ما الدنيا؟ كما قال، ما الآخرة؟ كما قال، ما أولادنا؟ كما قال، يتابعون في التصور. مثلما وصف لهم رب العالمين هم يتصورون الأشياء، لذلك الناس يفترقون في ماذا يتصورون، كيف يتصورون.

لما نقرأ في الفرقان وتسمع قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ دائما نتصورها، وهذا التصور جزء من الحقيقة، أنهم إذا قالوا لهم كلام سيء قالوا سلام. لكن إذا خاطبهم من؟ الجاهلون بالحقائق قالوا لهم فاتكم نصف عمركم لم تذهبوا، يا لها من مصيبة كبيرة أن انخفض كذا، يا لها من قضية عظيمة ذهب من الدنيا كذا، قالوا سلام، الموضوع أبسط من هذا، ما راح نصف عمرنا، ولا شيء، اشتريتم وما اشترينا لو كان رزقنا ما ذهب علينا. ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

الجاهل يعظم لك القضية وأنت عندك علم، ماذا تفعل؟ ترى كيف صور القرآن القضية. مثلا لك رزق، هل تتصور أنه لو كان لك رزق سيذهب لو أخذه أحد في الطريق، رب العالمين طمأنك وقال لك في القرآن كذا، وانت لست جاهل، لما يخيفك أن رزقك سيذهب أنت أخذت التصور من العلم؛ من كلام رب العالمين. لما يخيفك تقول له سلام، كن هادئا، لا تستعجل، لا شيء سيذهب علي، هو سيكبر لك الموضوع وأنت تعيده إلى حجمه الحقيقي. أهم شيء ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ وليس مهم أن تقنعه، أنت فقط قل سلام، سلام علي، أنا مطمئن والموضوع أسهل بكثير مما تكبره، فهؤلاء الجاهلون يجهلون التصورات الصحيحة. نترك هؤلاء ونعود لموضوعنا الأساسي.

أصل كلامنا في آية فاطر الآية العاشرة التي عرفتنا عن رب العالمين ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ ثم انقسم الناس على قسمين ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، سنخرج من هذه الآية إلى فرعين؛ فرع في نفس السورة قال لنا رب العالمين هؤلاء مكرهم سوف يبور، في مقابل أن هناك الجماعة الذين ﴿إِلَيْهِ

يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ الذين هم العلماء، ما بهم؟ ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ فكلما قرأت فاطر تذكر هذا. ما العمل القلبي بعد هذه المعرفة برب العالمين؟

عرفت أن العزة لله جميعا، بماذا تشعر؟ الأمم تكالبت علينا، الناس اجتمعوا، الناس تآمروا، الناس قاموا بمؤتمرات عل نشر الباطل، تشعر أنك محبط، ماذا أفعل في مقابل هذا كله؟ فتذكر نفسك ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، لماذا؟ لأن لله العزة جميعا، أنت ماذا تفعل؟ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، أنا ماذا افعل؟ أشتغل بالعمل الصالح ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾. انتهى فرع.

الفرع الثاني نصاحب فيه كلمة المكر ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، سنذهب من فاطر إلى سبأ، قبلها مباشرة، وهذه ملاحظة مهمة: أن المعنى الواحد في القرآن يكون في السور المتجاورة يوضح بعضها بعض، ستجد هذا المعنى موجود في سبأ ثم تجده في فاطر بهذه الطريقة، وفي يس بهذه الطريقة. نبدأ في سبأ بالآية ٣٢، ٣٣ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)﴾ خرجت لنا كلمة تربطنا بالكلام السابق، وجدنا كلمة المكر، فكر في الواقع، هذا الموقف ربنا يصفه انه سيأتي يوم القيامة وهكذا سيكون تخاصم أهل النار، هناك صنفين؛ استكبروا واستضعفوا، ما معنى استضعفوا؟ ضعفاء في بدنهم؟ ضعفاء في عقلهم؟

لما يكلموك متضخمين لكنهم أتباع منكسرين، تابعين فكريا، كلما لمعت في سماء الباطل فكرة فورا يجرون وراءها، كيف نربي أولادنا؟ يجرون عندهم، كيف نحسن أوضاعنا؟ يجرون عندهم، ليس مستغن بالقرآن، ضعيف، يجري وراءهم. وهناك قوم آخرين يقولون نحن أهل النظريات وأهل العلم وأهل كل شيء. هؤلاء في الدنيا، المستكبرين يتكلمون والضعفاء سمعا وطاعة، وفي المخاصمة ماذا يحصل لما يصلون إلى النار؟ لو عدت إلى الآية التي قبلها هم سيكونون موقوفين، ثم يرجع بعضهم إلى بعض القول ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أنتم السبب في هذا. أنتم الذين أقمتم مؤتمر وفتنتمونا، فما هو الجواب؟ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ

﴿صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أنتم ما أراد هذا، أنتم الذين اعجبكم، وهم يردون عليهم ويقولون ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾، ثم ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾. ماذا يحصل؟ ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ ما يحصل أنهم يمكرون ثم يلتقطون أناس، ويلتقطون أناس، يمكرون ويظهرون في الشاشات وفي المقاطع، من الذي يُخطف؟ الضعفاء.

يجب أن تتصور أن الضعف ليس ضعف البدن ولا ضعف المادة، بل ضعف الفكر وضعف التصور، فلما يكون تصورهم ضعيف، أي أحد يمكر بهم يمكرون فورا.

البخاري رحمه الله جمع كتابه في ستة عشر عام، وجمع غالبه في الروضة الشريفة، وكان مع كل حديث يصلي ركعتي استخارة، على قدر أحاديثه كلها، ويكتبها في كتابه، ثم ينقل هؤلاء العلماء عن الذين بعدهم ويجلسون مجالس ويراجعون الحديث ويتأكدون من ألفاظه ويتأكدون من رجاله، ستة عشر عاما وهو يفعل، قرون في نقله، ثم يأتي مقطع من مجهول في ست عشرة ثانية، ويسمعه ففورا ينتقل من الحق إلى الباطل، وينكر ما فعله البخاري! ويقول من قال لكم البخاري؟ وتعظم البخاري لماذا؟ وهو لا يعرف البخاري وقد لا يكون رأى كتابه بعينه، لكنه يشارك في هدم السنة بمجرد أنه سمع كلام من أحد مجهول.

كم نصوم عاشوراء وتوارثناها عن أهالينا وعرفناها، ويظهر واحد مجهول في أقل من دقيقة ينكر ذلك، فيتداول الناس المقطع ويسألوك هل يصح صيام عاشوراء أو لا يصح؟ ماذا نفعل، هذا كله هو الذي سماه الله هنا ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ لكن ما كان عذر للمستضعفين، ما كان عذر لمن ضعف عقله واتبع أي شيء يأتيه. ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ معنى ذلك أن انظر إلى تصوراتنا، هي مشكلتنا، وهناك قوم ماكرين، والله قال ﴿مَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، لكن يبور على من؟ لماذا أتينا بسبأ مع فاطر حتى تعرف أن ﴿مَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ للقوم العلماء، الذين عرفوا الله وعرفوا الدين ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ هؤلاء هم، لكن هناك غيرهم المكر لا يبور عليهم، وإنما يأتي بنتيجة وهم يسيرون معه ويستجيبون له، فنحن لنا دور في صدر مكر هؤلاء، نحن واثقين أن العزة لله، وأن ﴿مَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، لكن في وسط هذه القصية هناك من يخطف، يوجد من هم ضعفاء في تصوراتهم، هناك من ليس عندهم ثقة في دينهم، فما الذي يحصل؟ مجرد أن يلقي هؤلاء مكرهم على الناس يحصل له الاستجابة.

من أول سورة فاطر الكلام عن الشيطان ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ هؤلاء الصغار عندنا مسؤولية تجاههم، ونحن قبلهم.

سنعود لكلمة واحدة تحل لنا المشكلة. نحن قرأنا ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ما معنى هذه الآية؟ من الفاعل هنا؟ العلماء، ترتيب الآية: يخشى العلماء الله. لما تقرأها تجد اسم الجلالة مفتوح، بمعنى أنه ليس الفاعل، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ العلماء هم الفاعل، يخشى العلماء الله، هذا هو معنى الآية.

ما الذي يرد عنا مكر الماكرين وكيد الكائدين؟ العلم، فيجب أن يصح تصورك عن الموضوع، هنا صارت منازعة، هناك أناس يمكرون بك، لما تملأ نفسك بعلوم الدنيا، بكلام الدنيا، لما هؤلاء يمكرون بك لا تجد نفسك إلا أنك سرت وراءهم، لا تدري، ورب العالمين حدد لك، ونلاحظ أداة الحصر ﴿إِنَّمَا﴾ لا أحد إلا هؤلاء ﴿يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ﴾ من كل العباد، من الذي يخشى الله؟ العلماء منهم هم الذين يخشون الله.

الكل يستجيب لمكر الماكرين إلا من حصن نفسه بالعلم، لأنك تعرف أن المكر سماه الله في فاطر وفي سبأ حتى تفهم ماذا؟ لتفهم أنه ليس كلام صريح ولا معلومات واضحة، ولا رسالة تقول لك اترك الدين، وما عليك من كلام رب العالمين، ليس هكذا، إنما هو مكر، في سبأ سمعنا ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يعني لا يتركونك إلى أن يغيروا تصوراتك عن الحقائق ويدخلون مكانها تصورات باطلة. فلما تدخل عندك تصورات باطلة، فتتصور (نافس، لا تترك أحد، قاتل من أجل لقمة العيش، افعل..) لما يقولون لك هذا يحركونك، وانت تنفذ بكل اريحية، هم لن يقدموا لك خطة العمل، هم يمكرون بك في تغيير تصورك، يقولون أنت من، أنت نصف المجتمع المشلول، ونصف المجتمع الذي لا قيمة له، وتركوك وفعلوا لك، إلى آخره. يركزون عليك، فتشعر بالنقص وتنفذ كما يحكي لك الشيطان، هم لا يتعبون أنفسهم في وصف الطريقة التنفيذية، هم فقط يضعون لك -كما يعبرون- أهدافا استراتيجية بعيدة المدى، ثم أنت فيما بعد اعمل خطة تشغيلية وتنفيذية لوحدك مع الشيطان؛ الاستحقاق والامتنان وتقدير الذات، وكل يوم كذبة جديدة، والاحتراق الوظيفي، الموظف يقولون احتراق وظيفي، ومن في البيت ليس له قيمة، لا أحد يرضى عن شيء! لا نرضى عن ربنا ولا عن حياتنا ولا عن أزواجنا ولا عن بيوتنا ولا عن أولادنا، طول الوقت يوجد عدم رضا. ثم تلتفت فتجد نسب ما كان يمر على الخاطر أن تكون في مجتمعنا؛ نسبة الانتحار هنا وهنا! نسبة الاكتئاب، ثم يأتي الانتحار الذي هو نهاية الموضوع. أين كان هذا كل في مجتمعنا؟ لكن ﴿بل مكر الليل والنهار﴾.

والحل كما في فاطر ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠)﴾ كن مطمئنا، لكن أهم شيء أنا مطمئن أن مكر أولئك هو يبور لكن هناك فئة لن يبور معهم، الذين يمكر الليل والنهار هم ضعفاء، وصفهم رب العالمين أنهم ضعفاء، فكن خائفا من أن تكون ضعيف أو من تحتك ضعفاء فوق نفسك بالعلم، الله يفتح لنا أبواب العلم.

اللهم إنا نسألك علما نافعا، والحمد لله رب العالمين. إن شاء الله نلتقي المرة القادمة في نموذج آخر.

اللقاء الثاني يوم الخميس ٨ ذو القعدة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يتمم لنا مقصودنا، وأن يصلح لنا نياتنا في كوننا نريد من هذه اللقاءات أن تمتلئ قلوبنا محبة وتعظيمًا، فتنطلق ألسنتنا ذكرًا وتبجيلًا له سبحانه وتعالى. وهذا هو مقصود الأشهر الحرم، وخاصة عشر ذي الحجة إن شاء الله نقبل عليها ونحن ممتلئين إيمانًا ويقينًا، ويكون ثمرة ذلك بإذن الله ذكر رب العالمين. ذكر ينطلق من اللسان منطبق على الوجدان، بإذن الله رب العالمين، وهذا مقصود يجب أن تبذل فيه الجهود. ونتذكر بما منّ الله -عز وجل- علينا به في هذه الأيام المباركة من كوننا في شهر من الشهر الحرم المعظمة عند ربّ العالمين، وهي معظمة من أن خلق الله السماوات والأرض، ومن تعظيم هذه الأشهر الحرم الامتناع عن السيئات والإقبال على الحسنات. فنرجو من الله كما أنه جعل هذه الأيام العظيمة، السيئات فيها معظمة، نرجو أن تكون فيها الحسنات معظمة ومضاعفة وأن نوفق للعمل الصالح.

ومن العمل الصالح بذر معاني القرآن في الوجدان، حتى ينتهي الأمر بالثمرة. بدأ البذر المفروض من الحياة كلها، لكن سنقول أن شهر رمضان كان فيه تركيز على البذر، والمفروض أن يستمر البذر والسقي حتى تأتي عشر ذي الحجة واللسان قد انطلق مطابقا للوجدان بذكر رب العالمين. من الأعمال الصالحة التي نحتسبها على رب العالمين أن نبذر معاني القرآن في الوجدان.

ونتذكر أصل هذا الكلام الذي يجب أن يكون واضحًا في ذهننا حتى نعرف هدف اللقاء، تناقشنا سابقا في مسألة من ينتفع من القرآن؟ هل الحافظ هو الذي يقال له اقرأ وارتق فإن منزلتك عند آخر آية، أو ممكن المصاحب للقرآن بدون أن يكون حافظا له؟ في الحديث ((يقالُ لصاحِبِ القرآنِ))، والصحبة لها شروط. ونحن نعرف أن عند أهل الدنيا الصحبة لها شروط تؤدي إلى بقاء هذه الصحبة، ولها موانع تؤدي إلى امتناع هذه الصحبة. الأصحاب يكونون أصحاب في الدنيا، ثم هناك أسباب تجعلهم يتنافرون، فهو ((يقالُ لصاحِبِ القرآنِ)) يعني الذي استمر صاحبا للقرآن، وتبين لنا من النص الآخر أن صاحب القرآن هذا يجب أن يعمل به.

الخلاف في كون صاحب القرآن حافظه أو مصاحبه مصاحبة طويلة ينتهي بهذه الجملة؛ أنه يعمل به، في النهاية عرفنا بكلام واضح أن صاحب القرآن الذي يقال له اقرأ وارتق هو الذي يعمل به، وقد مر معنا أنه قد قيل في كلام أهل العلم أن **الإنسان الحافظ لا يتذكر مما يحفظ إلا ما عمل به.**

دائما لما نقول هذا الكلام نصطدم بفكرة؛ إلا ما عمل به، لما ننظر للقرآن إذا على مقياسنا للعمل، أو على فهمنا أن هذا عمل سنجد أن الأوامر التي سيكون فيها عمل مباشر قليلة، لأن العمل في ذهننا محدود بمجموعة أوامر من صلاة وصيام وزكاة وحج، إلى آخره.

تناقشنا أن القرآن فيه ثلاثة أمور أساسية، ولكي لا تنسى هذه المعلومة تذكر أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، وهناك موضوعين آخرين. ثلث القرآن لأن موضوع سورة الإخلاص يعدل ثلث القرآن وهو العلم عن الله والأخبار عن الله وهو الثلث الأول والأساسي والمهم، وهو المشترك في بقية الاثنين. ثم الثلث الثاني الأخبار عما كان وما سيكون وعن الإنسان، أخبار ما كان من خلق الإنسان وما سيكون، ما كان من أخبار الأمم السابقة وما سيكون، هذه كلها جهة الأخبار؛ وعن أخبار الإنسان، ولذلك تسمع ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ إلى آخر الأخبار عن الإنسان. ثم الثلث الثالث الأوامر والنواهي، ركزنا على أن نهتم بالثلث الأول وهو الأخبار عن الله، نقول ما العمل في الأخبار عن الله؟

أتت أخبار عن الله؛ أخباره وأسماؤه وصفاته وأفعاله، وها الثلث منتشر في الثلثين الآخرين، هذا الفصل فقط لنرتب أفكارنا، وإلا فالقرآن من أوله لآخره يخبرك عن الله، لكن قسمها العلماء إلى ثلاثة أقسام لتنتظم الأمور في ذهنك.

ما هو العمل في الأخبار عن الله كل الأخبار التي تسمعها عن الله، من أجل أن تصل إلى أي شيء؟ **العمل هو عمل قلبي عنوانه حسن الظن بالله**، ولا تستهن بهذا الأمر، ولا تشعر أن العمل حسن الظن بالله ثم نعطي أنفسنا صح على حسن الظن بالله، لا تعط نفسك صح فيجب أن تفهمه بعمق كافي يجعلك تقول ها أنا في الخطوة الأولى، أو لم اخط الخطوة الأولى تجاه هذا الموضوع.

هذا العمل؛ حسن الظن بالله لا بد أن يتكون فيه معالم واضحة حتى نصل حقيقةً إلى حسن الظن بالله. حسن الظن بالله عمل قلبي، قد أخبر سبحانه وتعالى أن أهل النار دخلوا النار لأنهم لم يحققوه، كما في فصلت ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ فهم ظنوا بالله ظن السوء فكان سبب لأن يرديهم في النار، هذا الظن ليس بالأمر الهين، يكاد يكون ملخص ما حصلته في الدنيا من معرفة الله، ملخص ما حصلته في الدنيا ظنونك، وما يؤكد هذا أن النبي ﷺ أرشدنا هذا الإرشاد قال: ((لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهو يُحْسِنُ الظَّنَّ باللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)). معناه أنه من البداية في الحياة كلها إلى النهاية، المفروض تكون النهاية حصلت فيها هذا. كل مرة نعيد ونرفع حسن الظن إلى مرتبة الأهمية القصوى، يجب أن

يكون في النفس الإحساس تجاه حسن الظن في مرتبة الأهمية القصوى، هذا سيجعلنا نركز في الفؤاد، ثم لكي نؤكد؛ هذا العمل عمل قلبي تنتج عنه أعمال جارحية كثيرة. حسن الظن عمل في القلب تنتج عنه أعمال جارحية كثيرة، ونحن نعلم أن ((إِنَّ اللهَ تعالى لَا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ، ولكنْ إِنَّما ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم)). هذه القصة التي يجب أن نكون فيها ونتمتع بها، لأن فيها متعة عظيمة، أن يحسن الإنسان الظن بالله، لماذا؟ لأن الاختلاف بين الناس على حسب ظنونهم، ومعاملة الله للخلق بحسب ظنونهم، ((فلْيظُنَّ بي ما شاء)) فأنت ماذا تنتظر؟ والظن هو نتيجة المعرفة، ماذا تظن؟ كأننا نقول ماذا تعرف معرفة يقينية؟ أي ظنون تقع في القلب هي حقيقة معرفتك، وأي معرفة ليس وراءها انعكاس في الظن، هذا مجرد معلومات.

إذا عرفت عن الله علوم، لا تكون علوم حقيقية إلا إذا انعكست على ظنونك التي في فؤادك، وإذا عرفت معلومات كثيرة وما انعكست على ظنونك هذه مجرد معلومات، كأنها ثقافة.

ماذا تظن في نفسك لو عرفت أن غارقا في بحر أو تائها في صحراء، عرفت عنه أنه تائه أو يكاد يغرق، علمت هذا وأيضا عندك قدرة على مساعدته، تظن في نفسك أنك ستعينه، إذا عرفت عنه أنه غارق وإنك تستطيع أن تساعده مباشرة ستساعده، تظن في نفسك أنك لن تتخلى عنه، لذلك لما يقال أنا كنت في ورطة تقول لماذا لم تكلمني؟ لأنك تشعر في نفسك أنك لو عرفت وكنت قادرا على مساعدته فورا ستهب إلى مساعدته، هذا ظنك بنفسك فما ظنك رب العالمين! الذي له صفتين واضحة، وهذه هي الصفتين التي أتت في آخر سورة الطلاق ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

هذه الصفتين؛ العلم والقدرة هي التي تأتي بحسن الظن المطلق، هي أساس حسن الظن المطلق، ربنا بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، ماذا تظن في رب العالمين وأنت تعلم أنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم؟ أنه سبحانه وتعالى يفعل ما يوافق الحكمة. ليس غائب سبحانه وتعالى، علمه محيط بكل شيء، ولا عاجز -تعالى الله عن ذلك- بل على كل شيء قدير. إذا كنت مؤمن في ذلك هذا سيورث في نفسك حسن الظن، مهما حصلت أحداث واقعية أنت ترى أن فيها تأخر، هذا الذي يقوله لك عقلك هو كلام الشيطان وكلام الجاهلين، وفي المرة الماضية قلنا ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، من هم الجاهلين؟ الجاهلين بالله، الذين يكلمونك، يخوفونك، يقولون الاقتصاد انهار، لا يوجد ماء، هؤلاء هم الجاهلين الذين تعرض عنهم وتقول أنا محسن الظن بالله، لا يتركنا سبحانه وتعالى، وإن حصل

شيء في الدنيا ضايقنا، كل شيء في الدنيا هنا يقابله ما عند رب العالمين من خير كثير. المهم أن تحسن الظن أنه ما يمر عليك من شأن رب العالمين مطلع عليه وليس بغائب.

القاعدة الأساسية في حسن الظن هي علمك أن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، غياب هذا هو ما أتى بالقوم المخذولين.

مر معنا في الأسبوع الماضي أولئك القوم الذين وعدهم بوعود كثيرة وهو سبحانه وتعالى موفٍ لوعده، وأخرجهم مع موسى -عليه السلام- ولما اقتربوا من البحر وكان فرعون وراءهم، وكان هذا آخر اختبار لهم مع فرعون، موسى -عليه السلام- وأخوه فقط، هم الذين كانوا محسنين الظن بالله، وكل هذا الفريق كان يقول كلمة واحدة: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، ما الذي غاب عنهم؟ أن الله بكل شيء عليم وان الله على كل شيء قدير.

كل هؤلاء في حال جهل وهو فقط الذي عنده علم، موسى عليه السلام عبّر عما في وجدانه: ﴿كَلَّا﴾ ليس صحيح، لن يتركنا ﴿كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، حسن الظن هذا هو الذي كان سبب النجاة.

لذلك في سورة الشعراء ربنا يخبر عن هذا، أنه نجى موسى ومن معه، من معه كلهم سبب نجاتهم موسى، كلهم اسمهم من معه، وهو وحده صاحب حسن الظن الذي كان سببا للنجاة. حسن الظن هو الذي جعل الله يفعل لإبراهيم وموسى عليهما السلام، في المستحيل وليس في الممكن. إذا قوي حسن ظنك لن يفعل لك في الممكن، كان يمكن أن يخسف بفرعون قبل أن يصلهم، يخسف به أمام أعينهم، في النهاية الخسف شيء واضح، لكن أن يتحول البحر إلى طريق يبس وعلى قدرهم، اثنا عشر طريق، هذا في المستحيل لكنه حسن الظن بقدرة الله المطلقة.

نفس الشيء نفكر في إبراهيم -عليه السلام- لما ألقي في الهواء ثم إلى النار، ماذا كان حسن الظن؟ حتى لما سأله جبريل هل لك حاجة؟ قال أما إليك فلا، أما إلى الله حسبي الله، يعني هو كافيني، أنا مطمئن أنه كافيني، ماذا فعل الله له من حسن الظن به؟ كان يمكن أن تأتي ريح وتطفئ النار، ويأتي مطر ويطفئ النار، لكنه في المستحيل لا في الممكن، كلما قوي حسن الظن كان فعل الله في المستحيل وليس في الممكن. قدرة الله واضحة في سلب النار حرارتها لا أنها تنطفئ، بل ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾.

من كل هذا الكلام كله سنقول؛ درجة حسن الظن في القلب يقابلها درجة العطاء الخاص بك، ماذا تنتظر من رب العالمين وأنت تعتقد أنه على كل شيء قدير وهو بكل شيء عليم؟ يكفي هذا، يكفي شعورك تجاه أنه على كل شيء قدير وأنه بكل شيء عليم.

نعيد مرة أخرى، الله خلق، كما في سورة الطلاق ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، هذه هي قاعدتي حسن الظن وبعدها ابني الباقي عليها. كل المعارف الباقية عن رب العالمين ستندرج تحت هذه المعرفة وتأتي بحسن الظن به سبحانه وتعالى.

بهذا فهمنا أن الإنسان يمكن أن يرديه ظنه، والإنسان يمكن أن يرفعه ظنه، بقي ماذا نفعل حتى نصل إلى هذه الظنون. فالقرآن الذي نزل من عند الرحمن يعرفنا به سبحانه وتعالى ملأنا معرفة عنه وظنون، ماذا تظن به؟

القرآن أتى لك بحسن الظن برب العالمين، وهناك ثلاثة علوم في القرآن، العلم عن الله والأخبار وأيضا الأوامر، وقلنا أن العلم عن الله منتشر في بقية الأصناف. معنى هذا أنك لما تقرأ في الأوامر، في الأحكام، ستصل إلى ما يقوي حسن ظنك برب العالمين.

ما المطلوب منك لتصل إلى حسن الظن؟ مطلوب منك أن تتعلم، وتحول هذا العلم بالمناقشة والتفكير، إلى علم يقيني يؤثر في الفؤاد، ودائما تتغنى بالقرآن؛ تعيد المعاني، لذلك في الحديث: ((أَحَبُّ العملِ إلى اللهِ تعالى الحالُّ المُرْتَحِلُ، قال: وما الحالُّ المُرْتَحِلُ؟ قال: الذي يَضْرِبُ من أولِ القرآنِ إلى آخِرِهِ، كُلَّما حَلَّ ارْتَحَلَ))[1] يختم القرآن ويعيد من جديد، ليس فقط لتخرج الألفاظ من الفؤاد، بل حتى كل يوم من حياتك يمررك بتجارب تعينك على تثبيت هذه المعاني في فؤادك.

التجربة خير برهان، سنجرب في سورة أشرنا إليها في الأسبوع الماضي واليوم سنتناقش فيها ونرى كيف هذه تأتي بحسن الظن بالله.

في المرة الماضية طبقنا على فاطر، واليوم سنطبق على **سورة الطلاق**، بهذا نكون ذهبنا للأحكام وعرفنا من خلالها الله، فنحن نتصور أن الأحكام بالإجمال مجموعة شرائع؛ أوامر ونواهي، سأعرف بها ماذا سأفعل، لكن هل أعرف بها الله؟ النموذج سورة الطلاق. النموذج الذي يعلمك أن الأوامر

---

(١) رواه الترمذي في سننه.

والنواهي أتت لكي تفكر فيهان لكي تكون النتيجة أنك تعرف رب العالمين من خلال الأوامر. الأوامر ليست مجرد خط سير فقط تسير به، الأوامر والنواهي عبارة عن تعريف برب العالمين يجب أن تفكر فيها. السورة تبين لنا الأمر بإذن الله.

نشير أولا إلى **التغابن** وهي السورة التي تسبقها، والتغابن إن شاء الله ستكون موضوعنا الأسبوع القادم. لو سرنا بالترتيب لاتضح الأمر أكثر في ترتيب السور، لكن في مقصودنا هذا الترتيب أفضل. التغابن السورة السابقة، وهذه سورة الطلاق، في آخر التغابن خبر مهم في الصفحة الأخيرة:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾

إن من أولادكم وأزواجكم عدو، هؤلاء عدو لكن فاحذروهم ثم رب العالمين أشار لنا أننا نعفو ونصفح ونغفر، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ثم نبهنا تنبيه آخر ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ كل هذه التمهيدات ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ إلى آخر هذه الأوامر بالإجمال، لكن انظر كم ستكون تمهيد لما سيأتي. عداوة الأزواج والأبناء لك، والأمر الثاني المال وفتنته، ثم التعاملات، هوّن على نفسك الأمور، هذه كلها حيثيات متصلة بالطلاق، لأن في الطلاق الزوج والزوجة والأبناء، في الطلاق الأموال تقسيمها والنفقة وكل ما يتصل بهذا، جاءت هذه الآيات تعمل لك تمهيد فقط، ثم نذهب لسورة الطلاق مباشرة، نبدأ بالآية الأولى وخاتمتها وهي المهمة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)﴾

مجموعة أوامر في التعامل مع الطلاق، نلاحظ أولا الأمر بتقوى الله، ممنوع أن تخرجوهم من بيوتهم، ثم المهم ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ القدرة المطلقة! حالات الطلاق والزواج من دلائل القدرة المطلقة، من دلائل أن القلوب بين إصبعين من

أصابع الرحمن، من دلائل أن الإنسان يصل إلى قمة رفض العلاقة، الرجل والمرأة وصلوا إلى آخرها، بتعبيرنا، هو يقول لها اخرجي وهي تقول أنا أصلا سأخرج، لكن ربنا يقول أن هناك حدود، امتثالك للحدود دائرة حول إيمانك أن ربنا على كل شيء قدير وبكل شيء عليم.

ولذلك ربنا يقرب لك هذا الأمر الضخم المتصل بقلب القلوب، فيقول لنا هذا الكلام الرقيق ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ هذا شيء ليس في قدرتك، ما تعليل أن تبقى المرأة الرافضة للرجل في البيت؟ ما تعليل أن يبقي الرجل المرأة في البيت وهو رافض لها؟ أنه ليس بقدرتك، ليس بيدك، قلوب العباد موضوع خارج قدرتك، وكم من حكايات لا نهائية، يكون الرجل والمرأة يشعرون أن الحياة انتهت، وبعد ذلك ﴿يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ من الأمر تعرف الله، من الأمر منع الرجل من خروج المرأة ومنع المرأة من الخروج أيضا من بيتها، هذا في الطلاق الرجعي، هذا حكم فقهي، لكن لماذا؟ الجواب لا يتصل بالحكم الفقهي، الجواب لا يتصل بالحقوق المكتوبة بالأوراق، الجواب يتصل بالإشارة إلى قدرة الله المطلقة على قلب القلوب وتغييرها، وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير.

هذه السورة التي سيأتي في آخرها هذه الآية التي نردّدها ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فكأنه يقال لك كل هذه الأحكام دائرة حول هذا، فماذا تظن بحكم رب العالمين أنه منع المرأة من الخروج، ومنع الرجل من إخراجها؟ تظن أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير. أين أثر هذه القدرة؟ في القلوب، وربنا عبر بهذا التعبير اللطيف وهو ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، ننظر للآية التي بعدها، نقرأ في الحكم حتى نتناقش في الصفة:

وصلنا إلى النهاية، ماذا نفعل في إجراءات نقوم بها من الشهادة ومن كذا ومن كذا، ثم رب العالمين في الآية التي تسبقها قال: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ وهنا قال رب العالمين: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هذه الإجراءات الدقيقة التي لا يطلع عليها أحد، التي لا أحد يعرفها، التي بينهم، رب العالمين يذكره باليوم الآخر. أنت يمكن أن لا تفعل هذ الإجراءات ولا تفعل هذه الأوامر، وتخرج من لوم الناس ولا أحد يدري عنك، لكن تذكر أن رب العالمين على كل شيء قدير وبكل شيء عليم، فالحدود التي تتعداها والأوامر التي تتجاهلها لن تترك لا في الدنيا ولا في الآخرة، ثم العقوبات التي ستنزل ولا أحد يدري ما سببها، وهو بنفسه يقول لا أعلم ما السبب، لا أعلم لماذا الحياة اسودت ونُزعت بركة الأموال، ولم أوفق في عمل، وينسى أنه تعدى حدود الله،

وينسى أن ربنا وعظه ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ورب العالمين يقول له ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.

تذكر أن الله على كل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، أنت تتصرف كما أمرك فلا تنازع في الأوامر، بالإضافة لإيمانك بأنه حكيم في أفعاله، وأن شرعه كله حكمة، كل هذا من حسن الظن، لكن هنا ركز أن من حسن الظن أنك لما تفكر في المستقبل بعد أن يتركها أو تتركه ويبقون يحتالون، هي تحتال لتأخذ أكبر جزء ممكن وهو يحتال ليمنعها من أكبر جزء ممكن، والضحايا الأبناء هؤلاء المساكين.

كل هذا الكلام والناس يفكرون في الحسابات، في الأوراق، ويشعر أنه لو امتثل الأمر، سيخسر كذا وكذا، وهي لو سكتت وامتثلت الأمر أيضا ستخسر كذا وكذا، ربنا يقول لهم وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ يمكن أن يكون هذا المخرج في الممكن ويمكن أن يكون في المستحيل، بحيث أن الإنسان لما يراجع نفسه ويجد نفسه امتثل الأمر، لما امتثل الأمر عرف أن رب العالمين فعل له في المستحيل، أنه كان مستحيل أن يحصل كذا، أو أن يرزق كذا، أو كان هذا الباب مقفول، أو كان هؤلاء الناس بعيدين غير موجودين، لكن ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ لأنك مؤمن أن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير.

فلما تنفذ الأوامر لا تحسب النتيجة بعقلك، لا تحسب النتيجة على الأوراق، لا تحسب النتيجة كما يحسبها الجاهلون، لذلك في كل مرة نتذكر الأمر بالإعراض عن الجاهلين، أنت مأمور أن تعرض عن الجاهلين، ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ليس هؤلاء الذين يشيرون عليك، ليس هؤلاء الذين يعطونك رأي، أبدا! ليس معقول أنك بصير وتعرف رب العالمين، وتمشي وراء أعمى لا يعرف رب العالمين، ليس منطق، نفس الكلام ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، ﴿أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ من لا يعرف ربنا لا يعرف كيف يتصرف، تقول هو سلفني كذا من المال لكن لا توجد ورقة تشهد على ذلك، إذا قال سلفني سأنكره، أو تريد أن تعطيه فيقال أنكره ولا أحد يعرف وهذا حقك وحق السنين التي عشتها، ويأتي الجاهلون يعطوك من رصيدهم الجاهل، ماذا تقول وأنت تعرف رب العالمين؟ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.

هناك انتقالة المفروض في كل مرة نقرأ السورة أن نستعجب منها. في الأمر الذي يأمرنا به رب العالمين هي ليست قوانين المحامين يدافعون عن كذا، وهذا يستطيع الالتفاف عليها، وهذا يستطيع الالتفاف عليها، بل هذه حدود رب العالمين الذي هو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم. وعدنا، أنت سر على

الحدود وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، مطلع على مقدار تقواك، وهو على كل شيء قدير، هل أنت مؤمن أنه على كل شيء قدير؟ سيعطيك في المستحيل، ليس فقط في الممكن، بل حتى في المستحيل.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ليس فقط مخرجا، الإنسان يقول أين أهرب من هذه الذكريات، هذه الآلام التي عشتها من سيصفي لي حساباتي، من سيجبر لي قلبي، إلى آخره، خصوصا في مسألة الطلاق التي أخذ من النفس ما أخذ..

أي أزمة أنت عشتها تتقي الله في تصرفاك ربنا يخرجك ليس فقط هذا، بل يرزقك من حيث لا تحتسب، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، المفروض أن نقف أمام هذه الآية ولا نتحرك، المفروض في وردنا كل هذا العلم عن الله، كلها في سورة الطلاق، كل هذه الأخبار متتابعة لاثنين وحدهم في البيت لا أحد يدري عنهم، وبينهم ما بينهم، والله أعلم، وسيأخذون قرار الانفصال ويقال لهم كل هذا الكلام ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ هذا كلام عظيم عن رب العالمين يجعل الإنسان لما يتعامل.

الحياة الزوجية مهما سمعت من الطرفين أنت لا تدري أين الحق، ولو جاء أكثر واحد حكيم في زمانه، مهما سمع لا يعرف الحق مع من، لكن الله المطلع يعدهم أنهم لو ساروا على الصراط المستقيم في معاملاتهم، حتى في انفصالهم، ليس في حياتهم فقط، كل هذه الوعود يعدك رب العالمين أن يعاملك بها. ثم رب العالمين يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾، هل تريد جبر لقلبك، هل تريد رفاهية لنفسك؟ هل تريد عوض لأولادك؟ ماذا تريد؟ هل تظن في رب العالمين أنه على كل شيء قدير وأنه ﴿بَالِغُ أَمْرِهِ﴾، أو ماذا تظن؟ غالبا يقال من يعوضني عن شبابي الذي ضاع؟ من الذي سيعوض أولادي عن كذا؟ من خلقهم يعوضهم، من خلقك يجبر قلبك ويعطيك من حيث لا تحتسب، ليس فقط في الممكن، بل يعطيك في المستحيل.

تقول المرأة بعد كل هذه السنين طاح سوقي، لا أحد يمكن أن يرغب بي، تشعر بهذا، بل سوقك قائم لأن رب العالمين موجود، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ يرزقه من حيث لا يحتسب.

يقال للرجل هذه المرأة أبغضتك، يقول من أين لي بزوجة؟ من بعد كل هذا العمر يقبل بي؟ إلى آخره، نقول ربنا يرزق من حيث لا تحتسب.

لذلك لما يحد الإنسان تفكيره ويكون عنده حالة من التعلق بالأشياء وهي مفسدة له، لأن الطلاق أحد الحلول الشرعية، نحن لسنا مثل النصارى لا نرى الطلاق. الطلاق أحد الحلول الشرعية لما تنتهي الحياة، لا بد أن يحصل الطلاق، والطلاق أحد الدروس التي يعيشها الإنسان، هذا شأن من رب العالمين. لكن اسمع هذا كله، لما تفسد الحياة يقال للطرفين: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ هذا الكلام العظيم الذي يعرفك برب العالمين وقتما تمتثل أوامره، وهنا الأصل في السياق الكلام عن مسألة الطلاق، لكنها عامة في كل التزام لحدود الله.

مثلا لنرى مشكلة الربا الكبيرة، يقول أحد أنا في أزمة وليس أمامي إلا الربا، نقول ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ وقد ورد في الأثر من كلام ابن عباس أنه يوم القيامة يعطى المرابي سيفًا ويقال له قاتل، فيقول أقاتل من؟ يقال قاتل رب العالمين، حارب من؟ حارب رب العالمين! لأن الربا حرب على الله.

الشاهد أن الإنسان يعرف مكانه، يعرف حقيقته، يعرف أنه لو اتقى الله، تخيل واحد يقول إما السجن وإما الربا، نريد أن نشعر بهذا الموقف، فنقول له التزم، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ تثق أنه سيجعل لك مخرج غير الربا. لا تقل الضرورات تبيح المحرمات، الضرورات كقول ابن عباس يمسك سيفا يقال له حارب، من أحارب؟ يقال له حارب الله، لا توجد ضرورات! موضوعنا تصور أنه في أحيان نختبر اختبار في مثل هذه المعاني.

الشاهد أننا نريد ان نؤكد أن هذه الآيات، وإن كانت في سياق الطلاق، وهو الأصل في النظر للآيات، لكنها تخرج لكل الحدود، كل مرة وأنت واقف عند الحدود تختبر اختبار؛ هل تؤمن أن الله على كل شيء قدير، وأن الله بكل شيء عليم، أنه مطلع على ما في فؤادك، تريد أن تتقي أو لا تريد أن تتقي؟ هل أنت صادق في تقواك أو لست صادق؟ إذا حصل منك التقوى أبشر، سيجعل لك مخرجا، وسيرزقك من حيث لا تحتسب، ثم يأتي في الفؤاد ماذا يخرجني؟ يجب أن تعرف أن هذه مجموعة ظنون يجب أن تظنها في رب العالمين، وهي أنك إذا التزمت الحدود، وهي التقوى، أمام التزامك للحدود تظن أن الله سيجعل لك مخرجا، لا تلتزم الحدود وأنت أن تقدم رجل وتؤخر أخرى، لا تلتزم الحدود وأنت شاك، بل تلتزم الحدود وأنت محسن الظن. وانظر ماذا يقول الجاهلين؛ لا تعطيه كل شيء، لا تعرفيه، ويتهمونك أن هذه سفاهة؛ سفاهة أن تفعل هذا، سفاهة أن تكشف اوراقك، سفاهة أن تعطي له الأمانات التي أمنك إياها ونسيها، يحرضوك على الخيانة، وأنت تقول أنا محسن الظن بالله أني إذا اتقيت الله سيجعل لي مخرجا، ويرزقني من حيث لا أحتسب، وهذا ليس بحسابات الناس، هذا من

عند رب العالمين، ليس في الممكن، في المستحيل، هذا ليس غدا، هذا في اليوم الذي يشاءه الله، يجب أن تنتبه للتوقيت، ليس أنك ستتقي من هنا وسيفتح لك الباب من هنا، هذا اختبار من حكمة الله أن يختار الزمن المناسب حتى يطهر القلب وترتفع درجات الإنسان، لأن الدنيا التي نريد من ربنا أن يمدها لنا لا تساوي عند الله جناح بعوضه، لذلك لا يعجل لك بالعطاء حتى ترتفع الدرجات، الفكرة ليست أنك تأخذ، بل الفكرة ماذا تظن برب العالمين وإن طالت الأيام، هل تظن لو أتقيت سيجعل لك مخرجا؟ هل تظن أنك لو اتقيت سيرزقك من حيث لا تحتسب؟ هل تظن أنك لو اتقيت وتوكلت إليه واعتمدت عليه ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ يجب أن تصل إلى درجة الطمأنينة لله، أنا عاملت الله، والله لا يخذل عباده ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

هذا هو حسن الظن؛ حسن الظن أمام الأوامر أني سأمتثل الأمر وأنا أعلم أن الله على كل شيء قدير وبكل شيء عليم، وأنه يعاملني كما وعدني، كما وعد المؤمنين. لكن النقطة الأولى في الثغرة أننا لا نعرف ماذا وعد المؤمنين، ماذا وعد الممتثلين، ماذا وعد الواقفين على الحدود، ليس دائما متداول أنك لو التزمت الحدود سيعاملك ربنا هكذا، لذلك ما الظن الذي ستثيره في فؤادك إذا لم تعرف ماذا وعد الله؟

سورة الطلاق صفحة واحدة، وجهين تحفظها وتعيدها، وكل مرة اقرأ بها في سننك وفي القيام، ذكر نفسك التزم الحدود فهو حسبه، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾، يجب أن تتأكد أن الله إذا شاء شيء بلغه. يوسف عليه السلام حاول إخوته أن يخرجوه، ويفعلوا، كانوا هم الممر للوصول إلى ما أراد الله، هكذا، يريد أحد أن يقطع عليك، ويقوم بكل الإجراءات لقطع الرزق عليك، وهذه الإجراءات نفسها هي التي تجري الأرزاق لك لأن ﴿اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾، يصل من حسن ظنك بالله أن المعتدين عليك سبب للأرزاق، كأن الأرزاق تأتي من ورائهم، فقط ماذا تظن برب العالمين! رب العالمين الذي دعوته وسألته ورجوته واتقيته، وقفت عند الحدود ولم تتعدها، ماذا تنتظر منه؟ مثلما وعدك.

نؤكد أن الأمور ليست أنك تلتزم الحدود فتظن أن رب العالمين سيفتح لك الباب من هنا، ربنا يقول لنا ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، قدر معين في وقت معين، هذه كلها أقدار تجري، ومواقيت لوقوع الأشياء، **الاختبار في حسن الظن انتظار الفرج**.

حسن الظن بالله حال امتثال الأوامر فيها ثلاثة عناصر:

١. أن تعرف الحدود التي امرك الله بها،

٢. ان تعرف الوعود على التزام الحدود،
٣. أن تعرف أن كل شيء له قدر، أو له أمد، أو له وقت.

من حسن الظن بالله أنك متأكد أنه ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أن من يتق الله ﴿يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، أن ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾، وأنت اتقيت الله ما استطعت، حسن ظنك بعد ما اتقيت يجعلك تنتظر الفرج، تنتظر المخرج. لما يقال لك أنت باق في الآمال الباطلة، تقول أنا متأكد من رب العالمين، أنا محسن الظن بالله، وليس إحسان الظن مجرد خرافات، إحسان الظن به بعد أن التزم الحدود وأعرف الوعود على الحدود لأني أعرف ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾، لكنه، سبحانه وتعالى يجعل لكل شيء وقت تسير فيه الأمور إلى أن يصل ما امر الله.

تذكر يوسف -عليه السلام- من الجُبِّ إلى المُلْك، متى؟ في الوقت الذي قدره الله، ﴿اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾، حاولوا أن يمنعوا وصول يوسف -عليه السلام- إلى مكانه فكان منعهم هو سبب لوصوله، بهذه الطريقة.

خاتمة الآية الرابعة ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ هذه من الوعود من رب العالمين، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ هذا من حسن الظن في الله في كل الأوامر، معنى ذلك أنك لو أحسنت الظن في الله بأنك إذا عزمت على الفعل يسّره لك.

معنى الآية أنه ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ تأتي في موقف تقول أنا لا أستطيع أن أقوم الليل، أنا لا أستطيع ألتزم بالحجاب، لماذا لا تستطيع؟ فنأتي لأنفسنا بقائمة أعذار. الجواب لو عزمت في فؤادك على تقوى الله وامتثال أمره، هذا الأمر الصعب الله يجعله لك يسيرا، حتى أنك بعض الأيام تقول لنفسك أنا لا أعرف كيف خطوت هذه الخطوة الجريئة، لا أعرف كيف خالفت الأهل والعائلة، لا أعرف كيف فعلت كذا وكذا، كيف استطعت؟ ربنا يسر الأمر وهذا من حسن الظن بالله. تحسن الظن بالله أنك إذا قصدت رضاه فقط، عزمت فقط على رضاه، أنه ييسر لك الأمر. أليست الأمور صعبة والتقوى صعبة؟ نقول رب العالمين يفتح لك أول الطريق حتى يقع في قلبك الرضا بهذا الطريق، حب هذا الطريق، الرغبة فيه، ثم تبدأ المجاهدة. لكن في البداية ما أن تعزم على تقواه حتى ييسره لك، ثم تأتيك فترة بسيطة من المجاهدة، هذه الفترة البسيطة يمكن ان تكون سنة أو سنتين أو عشر سنوات، لكنها بالنسبة للحياة فترة بسيطة، بالنسبة للأجور فترة بسيطة، ثم تعود الأمور لتكون يسرا.

أي شيء تتصوره من امتثال أمر الله، تحسن الظن بالله أنك ما أن تعزم على أفعال الخير إلا أن ييسرها الله لك. العزيمة يجب أن تكون وراءها قاعدة في الداخل؛ حسن الظن بالله، أنه لا أحد يعزم على خير وربنا لا ييسره له، سييسره الله، اليوم أو غدا أو السنة القادمة أو بعد سنين، من يعرف الناس ويعرف المواقف ويعرف الأحداث أكيد أن عنده تجارب تدل على ذلك.

كم من عزائم الخير عزمها الإنسان في نفسه، وكان صادقا في عزيمته، ثم بعد سنين طوال ربنا ييسر له القيام به، سواء يشهد الإنسان على نفسه أو يشهد على الناس الذين حوله، أن هذه كانت تقول من سنين أنها تريد أن تخدم أختها وتعمل لها عملية في عينها لأنها مريضة، وكل منهما في دولة ومفترقين ولا توجد فرصة لمثل هذا، ثم ربنا يأتي بالأحداث والمواقف إلى أن تعملها لها بأيسر ما يكون بعد عشرين سنة. عشرين سنة في عمر الزمان لا شيء، في حكم الله لا شيء، لكن هذه العزيمة الصادقة التي وراءها حسن ظن بالله، أن ربنا إذا نظر للعبد فوجد عزائمه صادقة، ييسر له الأمر لكن لكل شيء قدر، لكل شيء وقت، من حسن الظن أن تظن أن لكل شيء وقت، حتى في عزائمك، حافظ على العزيمة الحسنة، واعلم أن رب العالمين ينظر لها واعلم أنه يعطيك الأجر طول الوقت الذي أنت عازم بكل صدق عليها، واعلم أنه سييسر لك الأسباب لتفعلها، ووقتما تتيسر لك الأسباب أقبِل بدون تراجع.

ماذا نظن في رب العالمين؟ أننا لو صدقنا العزم يسر لنا الأمر. عند كل أمر نقوم به أو نقبل عليه، علينا أن نحسن الظن في ربنا أننا لو صدقنا العزم سييسره لنا، أنا صدقت العزم وما أتى، لا تنس ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، قد جعل الله -عز وجل- هذا الأمر، هذا في سنته واختبار للعبيد، إذن أحسن الظن، لا توجد أماني صادقة ولا عزائم صادقة إلا ربنا ييسرها ويأتي بأسبابها، أنت فقط اجعلها في بالك، وطول الفترة، مثلا في الحالة التي ذكرناها، في العشرين سنة كلما خطر على بالها عيون أختها وعمليتها، ينشط في نفسها العزم نرجو من الله أن يكون كتب لها الأجر، إلى أن يقع ثم يأتيها الأجر. هذا رب العالمين الذي **بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، هذه الصفتين هي قاعدة حسن الظن**، أعرف أن ربنا مطلع تقواي، وهو قادر على إخراجي من الأزمة، أعرف أن ربنا مطلع على التزامي بالحدود، وأعرف أنه قادر على أن يرزقني من حيث لا أحتسب، يجب أن نفكر في الصفتين معا أن علمه بكل شيء محيط وأنه على كل شيء قدير، فكر في الممكن والمستحيل.

تحصل مواقف، أنت تأتي وفي بالك فكرة أنك تريد أن تعمل، وتقابل أحد، وما نطقت بلسانك، فيقول لك ما رأيك أن تعمل معنا؟ هكذا بدون أي مقدمات، هذا إيمانك أن الله بكل شيء عليم، وعلى

كل شيء قدير، وهذا شيء خارج قدرتي، أنا لم أكلمه ولم أقل له ولم أشر له، ولم أتكلم بعيني ولا بلساني ولا بأي شيء، لكن الله المطلع، وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير.

السورة مليئة، وهذه تعتبر قراءة عاجلة، والسورة تحتاج أن تعيد وتزيد وتفهم وتناقش وتبقى هذه المعاني موجودة في ظنك في رب العالمين حتى يأتي يوم القيامة بإذن الله، ويثقل الميزان بهذه الظنون؛ أني يا رب كنت أظن أني إذا اتقيتك والتزمت حدودك أنك ستجعل لي من كل أزمة أعيشها مخرج، إذا اتقيتك والتزمت حدودك، سترزقني من حيث لا أحتسب، إذا اتقيتك ستعطيني، وإذا توكلت عليك ستكون حسبي، أني إذا عزمت عزيمة الصدق ستيسر لي الأمر، هذا ما ظننته، وهذا ما عشت عليه، وهذا ما مارسته في حياتي.

أعمال القلوب توزن قبل أعمال الجوارح، فلا تظنّ أن ما يقع في قلبك من ثقة ويقين بالله مجرد داعم في الوجدان لتتحرك في الحياة، بل ما تضعه في قلبك من عقيدة، هذا نفسه يخرج من الوجدان ويوزن في الميزان، بدليل ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ هذا أولا؛ ما قيل حصلت الأعمال، بل قيل حصل ما في الصدور، وهذا الذي في الصدور الذي يقابله ((لا يدخلُ الجنَّةَ من كانَ في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ مِن كِبْرٍ))[1] معنى هذا أنه إذا بعثر ما في القبور حصل ما في الصدور، بحيث أن هذه الذرة تأتي أمام الأعمال لها وتمنع الإنسان من دخول الجنة دخولا أوليا، وهو يكون مؤمن.

من الأشياء التي يجب أن نتوب عنها سوء الظنّ بالله المؤدي للكبر، وهو إحساسك أنك بقوتك فعلت الأشياء، أنك صاحب فضل على الناس، أنك أعلم من الناس، أنك كذا وكذا، هذا من سوء الظن لأن حسن الظن يقول أنا متلق للعطاء ولست مصدره، من حسن الظن بالله أني مثل الإناء اتلقى العطاء، هذا لن يجعلني أتكبر، سيجعلني في مكاني، وفي السورة سيتبين هذا المعنى.

ننظر للآية الخامسة ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ هذا الوعد رقم كم في السورة؟ أولا في الآية الأولى أحسن الظن، امتثل الأمر وبعد ذلك ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، كأننا قريبين من حالة الطلاق، لا تقل الحياة انتهت، تقول لك أجلس في البيت أو لا أجلس؟ وهي طلاق رجعي، تقول لها أن في حالتك الموضوع انتهى، لماذا؟ بل تقول ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، هذا من ظنك، هذا الظن يجعلك تقول لها لا تخرجي، فتتقي الله بهذا، تظن بالله أنه قادر على أن يحدث بعد ذلك أمرا، سينتج تقوى، سيجعلك تمتثل الأمر.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

قلنا لها كل حقوقه التي يتذكرها والتي لا يتذكرها، أعطيه إياها، الذي عليه أوراق مثبتة أو غير مثبتة أعطيه إياها لأننا نعرف أن ربنا يجعل للمتقين مخرجا، ويرزق المتقين من حيث لا يحتسبون، فظنونك تؤدي إلى التزام الحدود. بمعنى أنك مؤمن أنك إذا التزمت الحدود ربنا سيعطيك وعوده، فأنت محسن الظن بالله أنه لا يمكن أن تمتثل الأمر ويخذلك، لكننا وضعنا عنصر مهم، أن الله -عز وجل-، في سنته أن لكل شيء وقت معين، إذا نجحت في اختبار حسن الظن يجب أن تدعمه بهذه العقيدة الثالثة أن كل شيء له وقته، لا تستعجل، لا تنتظر حين تتقي ان تأتي في الجهة الأخرى فورا يرزقك من حيث لا تحتسب، بل لما تمر الأزمة، لما يأتي الوقت المناسب وأنت مؤمن أن ربنا على كل شيء قدير.

نتذكر أن في الأولى أنت محسن الظن بالله أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، من التزم الشريعة والحدود ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، هذا في كل الشؤون، صحيح أنه في الشأن الأساسي في الطلاق، لكنه في كل الشؤون، لا تستعجل، لا تمتنع عن الناس فورا، اصبر

١. ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.
٢. ثم الثانية ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.
٣. ثم الثالثة ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾.
٤. الرابعة ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.
٥. الخامسة ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ ، ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ كالضابط.
٦. السادسة ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾.
٧. السابعة ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ﴾ فليست القصة كلها الدنيا، الآخرة شانها عظيم، لو اتقيته يكفر عنك سيئاتك ﴿وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

في خمس آيات سبع وعود تحسن فيها الظن بالله، في سورة الطلاق، المتوقع في هذه السورة أن يسمع الناس سردا للأحكام، هي ليست سرد الأحكام، إنما هذه الشرائع تعرفك الله، والله يحثك على الاستقامة على الشرع بأنك تحسن الظن بالله، أحسن الظن بالله. شرع الشرع وافهمك أن نتيجة التزامك بحدوده شأن عظيم.

لما يقال إهانة للمرأة أن يقال أعطيه كذا وكذا، أو يأخذ منك كذا، أنت لا تتعامل معه هو، أنت تتعامل مع رب العالمين، اتق الله، وليس الطرف الثاني، الله في سمائه يجعل لك مخرجا، الله من سمائه

يرزقك من حيث لا تحتسب، توكل على الله ولا تشعر بالضعف، أنت سندك الله. تصور هذه السورة تقول للمطلقين أنتم لكم خصوصية في كون سندكم الله إذا توكلتم على الله، لأن كسر الأسرة حالة من الكسر للطرفين، يقال للطرفين المكسورين من يتوكل على الله فهو حسبه، ربنا سيرزقكم، ربنا ﴿بَالِغُ أَمْرِهِ﴾، ربنا سيعطيكم أجر، جبرا لهذه الكسور وحتى تبدأ الصفحة الجديدة بسرعة، لا يعيش الناس آلامهم وأحزانهم بدرجة أعلى مما يستطيعون ممارسة الحياة من جديد، كل هذا من حسن الظن بالله، أن الله إذا قدر هذا القدر لا يمكن أن يترك عباده.

ننتقل للصفحة الثانية ونركز في الآية السادسة في جملة واحدة في النهاية تتصل بموضوعنا ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (٦)﴾ هذه ثلاثة أوامر، أولا لا تضاروهن، ثم اجعلوا الأمر بينكم بالمعروف، ثم إذا تعاسرتم فسترضع له أخرى، كأن الأوامر توصيف للتقوى، كيف تتقي الله بالطلاق؟ لا تضارها في الطلاق، نركز على هذا لأن الآيات الأخيرة ستأتي مبنية على ألا تضرها. وهناك طرق كثيرة للضرر في الطلاق ولا حاجة للكلام فيها، لكن من أهمها أنها كلما طهرت عاد فطلقها لتعتد الثلاثة شهور، ينوي ضررها فيجعلها تعتد الثلاثة أشهر، ثم يعيدها قبل نهاية الطلقة، بعد ثلاثة أشهر إلا يوم يقول أرجعتك، وفي اليوم الثاني يطلقها، ثم تعتد ثلاثة أشهر وقبلها بيوم يطلقها، وهكذا، هذا من طرق الضرر، وكثير من الطرق اليوم لا نهاية لها من طرق الضرر، فيوقف لها كذا، ويقفل عليها كذا، ويفعل لها كذا، الشريعة تقول له لا تضارها.

عندها أولاد، أو هي حامل، مطلوب منك أن تنفق عليها، كم أنفق عليها؟ يحاول أن ينزل المبلغ للأرض! رب العالمين يقول ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ لا تريد أن تتعامل معها؟ هناك حلول، لئلا تحتك وتأخذ ذنوب لا أنت ولا هي، إذا تعاسرتم خذوا الطفل الصغير لأحد آخر يرضعه، ﴿إِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾، الشريعة تقول لك ما دمتم وصلتم إلى هذه الدرجة من المشاحة، فضوا الموضوع الذي يسبب لكم المشاحة. كل هذا الكلام نريد أن نفهمه من أجل الآيات القادمة.

في الآية السابعة ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧)﴾ من ضاق عليه رزقه ﴿فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ لما تضيق الأمور، أو هي تقول له لا يكفيني هذا، الآن نرى الطرف الثاني، رب العالمين يقول كل على حسب قدره، أنت لا تكذب وتقول هذا مقداري،

فالكذب معروف كيف يأتي، يأتي بشهادات أن هذا مقدار راتبه حتى لا يعطيها حقوقها، فرب العالمين يطمئنه؛ أولا ربنا لا يكلفك إلا ما تستطيع، ثم إذا عسرت عليك الأمور وأنت تفكر أنك ستنفق عليها وتفتح بيت جديد، بالتفكير الإنساني سيكون خاسر، ورب العالمين يقول له ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ ستظهر عسيرة، لكن امتثل الأمر فقط، ثم لا تدري من أين يأتيك اليسر من رب العالمين، ربنا يدفعنا إلى حسن الظن به، أنه متى امتثلنا للأمر يسر لنا.

ننظر للانتقالة الكاملة التي ستحدث في الآية التي تليها، كنا في الأسرة ثم ذهبنا في الآيات ٨ - ١٠، لمن العذاب؟ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠)﴾ هذا كان يجب أن يلفت نظرنا دائما ونحن نقرأ السورة، لأننا لا زلنا في المطلقين والطلاق والأحكام التي بينهم، وأنفقوا، ومن عندها حمل، ثم ننتقل منهم تماما إلى تنبيه أن هناك قرى كثيرة ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾، ثم ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ ثم تتضح الفكرة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ ثم يحكي لنا رب العالمين فضله علينا بإرسال الرسل. لماذا هذه الانتقالة؟ هذه الانتقالة تهديدا لمن؟

هو يستخدم قوته وهي تستخدم قوتها، تأتي القوانين في صالح المرأة، تأتي القوانين في صالح الرجل، هذه موجات دائما في التاريخ، ونقول لكل ممن هو فوق (ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع) هذه الموجة في صالح النساء العين فوق، بعد قليل سيقع هذا الطير الذي طار فوق، ثم يرتفع جانب الرجال وتسير الموجة وهكذا، هذه هي سنة الله. بهذا تفهم أن الجميع مهدد بشيء واحد، من هم الجميع؟

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ قرية كاملة ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾، هذه الأسرة؛ زوجين يختلفون، زوجين بينهما مشاكل، وكل طرف في أسرة، وكل يحرض الجميع ويتدخل في الجميع، في الأسرة الأولى الأسرة النواة والأسرة الممتدة، والأسرة الممتدة لا بد من رأي عام للعمات والخالات، والأعمام والأخوال، وكله رأي عام! ثم تكبر ولا يكفينا هنا وينزلون في مواقع التواصل، ويصبح الموضوع عام، وفلان طلق فلانة، وفلانة لا تستحق، وإلى آخره. تصبح قرية كاملة كلهم لم يعد منهم أحد إلى أمر الله، ولا قال أحد فيهم هذه حدود الله، ولا قال أحد فيهم ربنا سيعطيكم، لا تستعجلوا، لا تحكموا، لم يقل أحد نحن ننصحكم أن تفعلوا كذا، ننصحكم أن تعودوا إلى دين الله، إلى شرع الله.

تصور أن من أجل موضوع مثل هذا، الأسرة وما يحصل فيها، ثم الطرفين يفعلون هذه الأفعال، من أجل هذا الموضوع سماها الله ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ لأن الجميع لم ينطق فيهم أحد بطلب حسن الظن بالله الذي سيسبب لهم الامتثال لأمر الله. تقول لها تنازلي عن حقوقك، هذا مقدار ما عند الرجل، تقول من أين لي؟ تقول لها إذا امتثلتِ الأمر أحسني الظن بربنا وربنا سيرزقك من حيث لا تحتسبين، لكن الواقع كلٌّ يأتي يجد من أهل الشر من يساعده على الشر، خصوصا لما كثرت النساء المحاميات، الله يبارك فيهم ويرشدهم إلى الصواب، وينطقهم بالحق ويجعلهم مباركين على المجتمع، لما عرفوا المداخل والمخارج، أعانوا الجميع على هذه القرية التي عتت.

تصور أنه في النهاية ستنزل عقوبات على مجتمع كامل والسبب أن هذه الأسرة ما اعتُني بها، لأن موضوعنا حسن الظن؛ هذه الأسرة لم يقل لها أحد أحسني الظن بالله، لم يقل لها أحد امتثلي حدود الله وربنا لن يتركك. في خمس آيات قرأنا ثمانية من وعود الله، أين هذه الوعود في النقاش.

لما يقال ارتفعت نسبة الطلاق في بلادنا خاصة، وفي بلاد المسلمين هي أصلا مرتفعة، ما السبب؟ السبب غياب هذه الصفحتين من الحياة، لذلك مؤشر ارتفاع نسبة الطلاق عند أهل الإيمان يؤدي إلى هذا المؤشر الخطير، أن هذه قرية يمكن أن تكون ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ ينتظر الناس أن يحاسبهم ربنا حسابا شديدا. هذا شيء مخيف! تحسن الظن بالله يعني تقول ربنا لن يخذلك، تطمئن من أمامك، تقول الزاق بيد الله، أنت التزم حدود الله وربنا سيفعل ويفعل من كل ما سمعناه.

ربنا يريد أن تحسن الظن به فيقول لنا في آخر السورة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ ماذا تظنون برب العالمين إلا أنه أنزل إليكم شيء فيه ذكركم، ذكر تتذكرونه، تصلون إلى سواء الصراط.

ثم أخبر عن منّته بالرسول ﷺ، وأن هذا الرسول الذي امتنّ الله به عليكم، هذا الرسول يتلوا عليكم آيات الله مبينات، انظر إلى منّة الله، أحسن الظنّ بالله، ربنا يريد أن ﴿يُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، هذا ما تظنّه برب العالمين؛ أنه لما أنزل هذا القرآن، وشرع هذا الشرع لأجل أن تخرجوا من الظلمات إلى النور، وليس أن تتقبل الأفكار المنتشرة في كون أن هذا ظلم للمرأة، أو أن هذه الأحكام لا تسبب التطور، إلى آخر ما نسمعه.

غبار كلام الفلاسفة لما يدخل للفؤاد قد يتراكم بعضه على بعض، فيلقى الإنسان ربه وهو مسيء الظن به، والسبب أنك تسمع من هنا ومن هنا، كأن الشريعة كبّتلك، كأن الشريعة ضيقت عليك.

لذلك هم يسمون أنفسهم (التنويريين) على أساس أن الطرف الثاني في الظلام، وأنت تقول والله النور ما جاءنا إلا لما أنزل الله على رسوله هذا الكتاب، وربنا جعل هذا الكتاب سببا لإخراج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور، تقول طالما أنا لا أعرف ربي أنا في الظلام، طالما لا أعرف دينه أنا في الظلام، بحيث أنك في كل مرة تتعلم تقول يا رب العالمين أنرت علي. هذا الذي يجب أن يكون من ظنك في رب العالمين؛ أن الشرع الكريم، أن الرسول ﷺ الذي منّ الله -عز وجل- به على هذه الأمة قد أخرجنا من الظلمات إلى النور، يجب أن تلقى الله وأنت تشعر أن دينه، وشرعه، ورسوله ﷺ سبب لإخراجنا من الظلمات إلى النور، وأن ترك هذا كله سبب لبقاء الناس في الظلام.

هناك حرص شديد من حولك من كل الجماعات التي تتصورها أن يعطوك انطباع يخالف ذلك، فمن هنا كلمة ومن هنا كلمة، قد يجتمع غبار أفكارهم في فؤادك ولا تدفعها فتمسك في القلب، فتؤثر على التفكير وعلى الشعور، فأنت كأنك خجلان، أو لست واثق، أو لست متأكد، أو لست مطمئن أنك بالشرع تخرج من الظلمات إلى النور. لا بد أن يكون اهتمامنا أني سأخرج من الظلمات إلى النور بهذا الشرع الكريم، لماذا؟ لأن الذي شرعه سبحانه وتعالى كما سيأتينا في الآية التي تليها.

في الآية قبل الأخيرة آخر خبر تسمعه في وعود رب العالمين في هذه السورة ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾ ماذا يفعل له؟ ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ هناك مناسبة عظيمة في سورة الطلاق لهذا الخبر، من يدخله ربنا جنات النعيم في نهاية الأمر نتيجة إيمانه، نلاحظ أداة للتأكيد ﴿قَدْ﴾، ثم فعل التفضيل أحسن، ﴿أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ له خاصة. انس أرزاق الدنيا، انس المنافسة عليها، انس ما عند الرجل وما عند المرأة، انسوها، التزموا الحدود واجعلوا هذه الأمور تحت أمر الله، ثم التزامكم للحدود سيجعلكم مؤمنين عاملي الصالحات بالتزامكم للحدود، ثم يأتيكم الزرق الذي يسمى رزقا حسنا، ليس هذه الدنيا، فـ((لو كانتِ الدُّنيا تعدِلُ عندَ اللَّهِ جَناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منْها شربةً))[1]، اترك هذا، اهمل مكان المنافسة، ركز في هذا الوعد فقط، من يؤمن ويعمل الصالحات ربنا يدخله الجنات، هذه هو الذي احسن الله له رزقا، أما بقية الأشياء فهي عطايا تخرجك من قضية إلى قضية، وفي النهاية ستدخل على قبرك بدون هذا كله.

هناك تستقبل الأرزاق، في القبر يستقبل الناس أرزاق أرواحهم التي إذا ذاقوها نسوا كل المصاعب التي عاشوها، إذا خرج الناس من قبورهم وبشرتهم الملائكة، وارتفعوا في درجات الجنة، يُسأل العبد،

(١) أخرجه الترمذي في سننه.

مهما عاش من معاناة، يغمس غمسة واحدة فيقال له هل عشت بؤسا قط؟ يقول لا، ما مر علي بؤس أبدا، فمثل هذا ﴿أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾.

سمعت عن الله ثم تختم السورة بهذه الغاية، كأن ربنا يقول لنا ربنا خلق السماوات والأرض كلها حتى تعرفه لا حتى تتضارب على الأرزاق، كلها حتى لما تقدمون على خطوة في حياتكم تفكرون ماذا تظنون برب العالمين؟ أتظنون أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، إذا ظننتم هذا ستعرفون ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، ستعرف هذا. أما لما لا تعرف لماذا عشت، لماذا أنت موجود، ستمر عليك أحداث ولا تكون شواهد تعرفك برب العالمين. من يفكر أنه يعيش هنا ليعرف ربنا ويحسن الظن بالله، لا يترك شاردة ولا واردة إلا وهو يسأل ماذا تعرِّفني بالله، ينتظر أن تنتهي القصة حتى يقول:

ضاقَت فَلَمّا اِستَحكَمَت حَلَقاتُها ** فُرِجَت وَكُنتُ أَظُنُّها لا تُفرَجُ

لكن ليس هذا ظننا في رب العالمين، نحن نظن يقينا أنها تفرج بأمر الله.

هذا موضوع كبير وعظيم نسأل الله -عز وجل- أن يحقق لنا أمانينا في فهمه.

الحمد لله هنا تناقشنا في مسألة الأوامر وكيف هي تعرفك برب العالمين. في الأسبوع القادم إن شاء الله نناقش سورة التغابن وكيف الأخبار تعرفك برب العالمين.

اللقاء الثالث يوم الخميس ١٥ ذو القعدة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. نكمل اليوم إن شاء الله ما بدأناه في اللقاءين الماضيين من الكلام حول هذا الموضوع المهم، وهو تحويل النصوص التي نسمعها في كلام الله وكلام رسوله ﷺ إلى واقع نمارسه ونعيشه.

وقد انطلقنا في مسألة غاية في الأهمية بالنسبة للحياة الدنيا والحياة الآخرة، غاية في الأهمية لهدفنا الذي من أجله نعيش وهي مسألة (ماذا تظن برب العالمين) هذا من الأمور التي فيها تحويل النص إلى واقع، تسمع أخبار عن الله -عز وجل- تسمع أسماء وصفات، تسمع أفعال عنه سبحانه وتعالى، هذه كيف تحولها إلى عمل؟ فكما مر معنا سابقا أن الذي يقال له: ((اقرَأ وارقَ ورتِّل كما كُنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها)) لا بد أن يكون عاملا بما علم.

كأنك تنظر للموضوع كالتالي:

أن العلم بذرة والعمل ثمرة

زرع بلا ثمار لا قيمة له، يجب أن يكون هناك ثمرة، الثمرة هي العمل. ونعيد هذا الإشكال الذي نكرره دائما، لو قلت الثمرة هي العمل، يعني ثمرة تلاوتي لكتاب الله، صحبة كتاب الله، حفظ كتاب الله، لو قلت العمل يمكن أن نقف أمام استفهام أعمل بماذا؟ الأوامر محدودة، وهذا في وجهة نظرنا، افعل ولا تفعل محدودة، أقم الصلاة، أنفق، هذه هي الأوامر المباشرة، فمن يظن أن العمل إنما هو للأوامر المباشرة كأنه وقف خارج الموضوع.

الموضوع لما تدخله ستجد الأمر بالصلاة والأمر بالإنفاق إنما هو ناتج من أمور سبقت. ناقشنا هذا الموضوع وكررناه ووصلنا إلى نتيجة غاية في الأهمية؛ تنقسم الأمور الموجودة في القرآن إلى ثلاثة أقسام، تفهم هذا الكلام تفهمه لما تقول سورة الإخلاص ثلث القرآن، فتعرف أن هناك ثلثين آخرين، لماذا سورة الإخلاص ثلث القرآن؟ يعني ثلث مواضيع القرآن، وهي معرفة الله، الأخبار المباشرة عن الله؛ أسماؤه وصفاته وأفعاله. والثلث الثاني أخبار ما كان وما سيكون وعن الإنسان، والأمر الثالث الأحكام الشرعية.

ما هو العمل الرئيسي من القرآن كله؟

الخروج بحسن الظن بالله الناتج عن المعرفة، هذا هو العمل، وهذا العمل في القلب. ومر معنا أن إبراهيم -عليه السلام- قال لقومه بعدما وجدهم يعبدون كذا وكذا، قال لهم ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ماذا تظنون الإله الذي خلق الخلق؟ هل تظنون أنه لا يسمع ولا يرى ولا يعلم ولا يقدر؟ هل تظنونه حجر أو شجر؟

ومر معنا أيضا النص الصريح في آية فصلت، رب العالمين أخبر أنهم يظنون أن الله لا يعلم كثير مما يعملون. هذا الظن أن ربنا لا يعلم، قال الله -عز وجل- عنه ﴿ذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾.

فالظنون هي منطلق الأعمال، وتحقيق العلوم في ظنونك التي في داخل فؤادك. حتى نأتي بكلمة سهلة في الظنون، الظنون يعني كيف تفكر، لما يمر بخاطرك شيء من الأشياء كيف تفكر؟ مرتين ناقشنا هذا الموضوع، المرة الماضية ناقشنا سورة الطلاق وكانت نموذج على حسن الظن بالله في الأحكام. وقلنا إن مسألة مثل مسألة الطلاق غالبا نشعر أن مثلها مثل بقية الأحكام الشرعية، كأنها بعيدة عن الكلام عن الله، نتصورها بعيدة كبقية الأحكام. من يدخل على سورة المائدة وعلى سورة النساء، يدخل متصورا أنه سيجد أحكاما، كأنه يتصور أن الكلام عن الله قليل، ثم لا يدري أن سورة النساء، وهذا يحتاج إلى إحصاء، وانظر كم أخبرت عن علم الله وحكمته، كم تكررت هذه الصفة في سورة النساء. فكأن الأحكام نموذج يبين لك كمال الله، فلما تأتيك الأحكام تكون محسن الظن بالله، وهذا هو المقصود.

ما هو العلم أمام الأحكام؟ قبل أن نتكلم عن الممارسة العملية للحكم يجب أن يسبقه ماذا تظن بالله الذي حكم هذا الحكم. فلما تريد أن تقول الواقع، دائما تأتي هذه الجملة؛ الناس عندهم شبه في الميراث، في الطلاق، في حقوق المرأة، إلى آخره. من أين أتت هذه الشبه، ولا نتكلم عن التفاصيل، بل عن الأساس، أكيد أنها أتت من سوء الظن بالله، لأن سوء الظن بالله يجعل الإنسان يعتقد أن رب العالمين يحكم أحكام تضره، أحكام ليست في مصلحته.

لما تريد أن ترى السفاهة والسفهاء فانظر لمن يلقون هذه الشبه، المشكلة ليست فيمن يلقيها، فهؤلاء غالبا منافقين معلومي النفاق، المشكلة فيمن يستقبلها. كيف سنقابل ربنا ونحن لا نستحي من كون أنه حصل في نفوسنا سوء ظن به، وأنه يحكم حكما خاليا من الحكمة، وأنت تقول عنه أنه العزيز الحكيم؟ كيف تردد اسم الحكيم بلسانك، والقلب، الذي هو مكان نظر الرب لا يشعر بهذه الحكمة؟ بل يشك بهذه الحكمة بل يرى انها يمكن أن تكون خالية من الحكمة؟

في كل مرة يمكن أن يثير شياطين الإنس والجن علينا مثل هذا، لأنهم ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ وزخرف القول هو الذي يغر الناس، يجعلهم يسيئون الظن بربنا. لما الشياطين تثير اقرأ سورة الطلاق مرة أخرى، وانظر على كل الأحكام في سورة الطلاق تكلمك عن الله. حكم كذا وكذا، ثم يقول رب العالمين ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

أيتها المرأة المطلقة طلاقا رجعينا ابقي في البيت ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ الأمر بيد الله. وأنت أيها المطلق لما تأتي مسألة الإنفاق اتق الله لأنه ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ لا تخف ولا تقلق ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ الأمور لن تأتيك فورا، اصبر قليلا. الحكم الشرعي محاط بالمعرفة الربانية، من أمرنا بهذا؟ رب العالمين، سنمتثل ونحن نحسن الظن بربنا أنه كذا وكذا.

فتصور سورة مثل سورة الطلاق أكثر شيء فيها الخبر عن الله. المتوقع الخبر عن الأحكام المتصلة بالطلاق، أهل العلم يسمون سورة الطلاق سورة النساء الصغرى لما فيها من أحكام متصلة بالنساء والعائلة، لكن سورة مثل هذه وهي سورة النساء الصغرى وفيها أحكام الطلاق والرضاع والرجعة وكل هذه الأحكام الكبيرة، ثم تنتهي بالتهديد لمن يتعدى الحدود. ربنا يقول: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾، ماذا كانت عاقبة امرها؟ ﴿كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ يعين لا تستهن أيها الرجل إذا كانت عندك السلطة، لا يأخذك الطغيان، أنت أيها الرجل تعتو عن أمر الله، وأنت، وأنت، كل القرية ستذهب، هؤلاء عتوا وهؤلاء سكتوا. القصة أن هذا يطغى ويبغي وهذه العائلة ساكتة، وهذا يطغى وهذا يطغى، وهذا ساكت وهذا ساكت فتذهب كل القرية.

لا تستهن بأحكام رب العالمين، ماذا تظن برب العالمين؟ أنت في موقف المظلوم وهو الظالم، هكذا اتى الطغيان، وأيضا لا يوجد أحد حولك يقول له لا تطغَ، أنا مستضعفة، ما عندي أحد، بل تصور ان من اجل هذا الاعتداء القرية كلها ستذهب بسبب الاعتداء على هذه الحقوق. نحن نقول المرأة والعكس أيضا، فلسنا دائما في دور المظلومين، فكثيرا ما تكون المرأة في دور الظالم، وهكذا. على كل حال (ما طارَ طَيرٌ فَارتَفَع، إلّا كَما طارَ وَقَع) مثل الموجة، فترة تكون الموجة في صالح المرأة وفترة تكون في صالح الرجل، لكن الكل معرض للطغيان، والكل مهدد هذا التهديد.

مر معنا هذا الكلام في الأسبوع الماضي وناقشناه بما يتيسر لنا، وبهذا تصورنا أن جزء الأحكام العمل فيها منطلقة ماذا تعتقد برب العالمين، فلا تذهب على العمل مباشرة.

لما نقول للمرأة طلاقا رجعيًّا، ابقي في البيت، امتثلي أمر الله، لأنه أمر الله، ولأنه حدود الله، معتقدة حسن الظن بالله، و﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، تقول لا والله لا أريد رؤية وجهه، لا اريد ان يحدث الله بعد ذلك أمرا! تقول هذا ثم يحدث الله بعد ذلك أمرا والحمد لله، وتمر السنين الطوال. وقد مر علينا كثير من هذا. فأنت امتثل للأمر محسن الظن بالله. **أحسن الظن بالله حال امتثالك للأمروهذا هو حقيقة العمل.**

لا تظن أبدا أن ربنا محتاج لعباده، لا تظن أن هذه الأوامر والنواهي لأجل انه محتاج، لا والله! تعالى الله عن ذلك ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ وهذه كلها من أجل أن تزكو نفسك، من أجل أن تطهر، من أجل أن تجد في يوم القيامة منازل في جنات، إلى آخره. امتثل الأمر وأنت محسن الظن بالله، ولا ندعي اننا في هذه العجلة سنتكلم عن هذا الموضوع الضخم، لكن المقصود إضاءات فقط بحيث أنك في كل مرة وأنت تقرأ أحكام، يجب أن تعرف أنك تبني هذه الأحكام على حسن الظن بالله، وهذا معنى أن تجد -كما ذكرنا في سورة النساء وسورة المائدة وسورة النور وغيرها من السور- تأتي الأحكام ثم تختم بأسماء الله، تأتي الأحكام وهي تصف الله. من وراء الحكم ربنا يقول لك أنه عليم، أنه حكيم، هذه نقطة انطلاقك للأحكام؛ إيمانك أن الذي حكم حكيم عليم، هذا حسن الظن، هذه حقيقة العمل.

بقي علينا الجزء الثالث من أجزاء القرآن و هو الأخبار؛ ما كان وما سيكون والخبر عن الإنسان. هذه مسألة سيطول فيها النقاش لكن نحن نعمل إضاءات حتى نحول الموضوع من نص إلى تطبيق، من كونك تقرأ الآيات إلى كونك تعيش الآيات، فلا تمر على سورة الطلاق وأنت تقرأها في وردك أو في القيام وتمر عليها كأنها لا تعرفك برب العالمين، كأنها ليست موضوعك، بل كل القرآن يعرفك بالرحمن، سواء كانت أخبار عن الأمم السابقة او احكام أو خبر مباشر عن الله.

سنأخذ **سورة التغابن**، وهي ستكون نقطة الانطلاق، لنرى كيف الأخبار التي تأتيك من رب العالمين عما كان وما سيكون وعن الإنسان، كيف أن فيها عمل وهو حسن الظن بالله، وإن شاء يتبين لنا هذا، والله الموفق.

وكنا في المرة الماضية قلنا أن التغابن والطلاق متجاورتين، وكان الترتيب أن نبدأ بالتغابن ثم نذهب إلى الطلاق لكن خفنا ألا نستطيع أن ننهي الأوامر في لقاء واحد، فقلنا نبدأ بالأوامر لأن هي التي فيها

إشكال من جهة أن الناس يسيئون الظن بالله، وكان تيسير من الله وأنهينا سورة الطلاق وكانت نموذجا إن شاء الله لا ننساه.

نبدأ بسورة التغابن، وسيحصل فيها تنقلات إلى سور أخرى، فما الهدف من قراءة سورة التغابن في هذا المجلس؟

الهدف أن تعرف أن الأخبار التي ربنا يخبرك عنها، عما سيكون وما سيكون وعن الإنسان، هذه أخبار فيها عمل، ما هو العمل؟ سنعود لنفس النقطة أنك أي خبر تسمعه يجب أن يكون في داخلك حسن الظن بالله، يجب أن تركز في مسألة حسن الظن. القرآن من أوله إلى آخره يجب أن يكون في نفسك حسن الظن بالله، بحيث أنك لما تقابل ربنا تكون ظنونك كلها محصورة في الخير، في كل ما سمعته عن رب العالمين، لا تظن به إلا خيرا، لا تظن بالكامل إلا الكمال، لا تظن بالرحمن إلا الرحمة، لا تظن بالقريب المجيب إلا الإجابة. لذلك، بالمناسبة.

لما تقرأ سورة الملك ويعاد علينا اسم الرحمن في السورة ربنا يريد منا أن نشعر أنه الملك الذي يتصرف في مملكته وتصرفه مبني على رحمته، وأن رحمته سبقت غضبه. هذا ما تظنه، لذلك لما يبرز اسم من الأسماء في سورة ما، كأنه يقال لك ظن بالله هذا الظن واعرف أن كل الأفعال دائرة حول هذا الاسم. المشكلة أننا نقرأ السورة من أولها إلى آخرها ولا نلتفت إلى تكرار الاسم، لا نلتفت إلى خاتمة الآيات. بهذا ستكون ظنونك بناء على ماذا؟ بناء على الكلام السائر. إذا لم تكون من مصدر العلم ظنونك واعتقاداتك، ستبنيها من أين؟ ستبنيها من خلال التجارب وكلام الناس. فأنت لديك مصدر تام الوضوح، محفوظ، المطلوب منك أنه هو فقط الذي يشكل لك عقلك، هو فقط الذي يشكل لك ظنونك، هو الذي يشكل لك قاعدة التفكير. إن شاء الله في لقائنا الأخير في الأسبوع القادم سنربط بين الظنون والتفكير بوضوح، سنستخدم كلمة الظن إلى أن تستقر المسالة وتعرف أنك تفكر بناء على مادة الظنون، وإن شاء الله يأتينا هذا الكلام.

في سورة التغابن نسمع أخبار ونرى ماذا نظن في رب العالمين. نبدأ بالآية الأولى:

الآية الأولى فيها خبر واضح، نقسمها إلى كم قسم؟ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا هو الخبر الأول، ثم ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ هذه لوحدها، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ هذه لوحدها، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ صارت أربعة، لو ركزنا فقط على هذه الآية سينتهي بنا الوقت ولا ننتهي، لكن نحن نريد أن نقوم بإضاءة لنتصور الظن الذي تظنه. ماذا تظن في السماوات والأرض وما فيهما؟ ماذا تظن بناء على هذه

الآية؟ ستتصور أنها كلها منظومة متكاملة، كلها تسبح، لا تقرأ هذه الآية وتمر، بل يجب أن تأخذ هذه الآية وتجعلها كأنها هي النظارة التي تنظر بها للكون، كل الكون منسم بعضه مع بعض، ماذا يفعل كله؟ يسبح. لذلك لما ننتقل إلى سورة ص فيما بعد ونسمع عن داوود عليه السلام، وفي غير ص من السور، وفي الأنبياء، تستطيع أن تتصور كيف الجبال والطير يؤبوا معه، يرجعوا له التسبيح. هم أصلا يسبحون، ثم كأنهم ينصتون فيسمعون داوود يسبح، فمن مكانة داوود ومكانة تسبيحه ووقوع هذا الفعل من فؤاده انسجم مع الكون انسجاما تاما، فصار هو يسبح وهم يرجعون له التسبيح، هذا ليس خيال، هذه حقيقة يجب أن تقابل ربنا وانت تصدقها، وأنت متيقن بها.

الخبر عما كان وما سيكون وعن الإنسان، الحقيقة التي يجب ان تظنها الآن أن هذا الكون كله منسجم بعضه مع بعض، ماذا يفعل؟ يسبح.

في الحديث الحسن ((ما تستقِلُّ الشمسُ)) يعني ما تطلع، ((فيبْقَى شيءٌ مِنَ خلْقِ اللهِ إلَّا سبَّحَ اللهَ بحمدِهِ إلَّا ما كانَ مِنَ الشياطينِ، وأغبياءِ بني آدَمَ))[1]. هذا دليل على أن تسبيحك الذي يصير عند اذكار الصباح هذا نوع من أنواع الانسجام مع الكون، كأنك تدخل في الفلك الذي فيه الجميع يسبح.

هذا ليس خيالا، هذا حقيقة وقد تكررت في القرآن، وهذا الموطن في التغابن هو آخر موطن يأتي فيه الكلام عن التسبيح، هناك سور كثيرة ابتدأت بالتسبيح مثل سورة الإسراء، وغيرها. فأنت تسمع أن الكون كله؛ ما في السماوات وما في الأرض، السماوات والأرض وما فيهما يسبحون. وهناك نموذج أتى الخبر عنه، ونحن لا نعرف غيره، لكن الله أعلم من غيره، لك النموذج الذي أتانا الخبر عنه إنسان، وهو داوود -عليه السلام- أتانا الخبر أنه منسجم مع هذا الكون في التسبيح، حتى أن الله سخر الجبال، التي تسبح أصلا، والطير، التي تسبح أصلا، أن يجتمعوا معه في ترجيع التسبيح، هو يسبح يقول سبحان الله وبحمده وهم يردون عليه سبحان الله وبحمده. لما يسمعهم داوود -عليه السلام- أكيد أنه يثار في نفسه عظمة الله فيكون التسبيح التالي أعظم. وكأنه يقال لك انظر يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض، ما تعتقد، ماذا تظن في هذه المخلوقات وفي عظمة رب العالمين الذي تسبح له السماوات والأرض؟ معناها أن السماوات والأرض يمكن أن تكون مليئة بحسن الظن برب العالمين وتعظيمه أكثر من أغبياء بني آدم، كما في الحديث، وهذا أكيد. لما يأتيك خبر ماذا تظن في هذه المخلوقات؟ ماذا تظن في رب العالمين الذي تسبح له المخلوقات. هذه هي الجملة الأولى.

---

(١) صحيح الجامع.

ما بعدها ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أما له الملك فهذا ظن يحتاج على قوة تحرير في الفؤاد، تصور أنك ستمر على كل شيء وتعدد إلى أن تتعب؛ هذا ملك الله، وهذا ملك الله. ما في أملاك الخلق في فؤادك انزعه من ملك الخلق، وضعه تحت ملك الله. ظن هذا الظن، أن الملك كله لله.

لما يأتي الكلام عام، ولما يأتي الكلام بالتفكير الدقيق، التفكير الدقيق أنك تشعر أن هذا ملكك وأنك تتصرف كما تريد، ثم تأتيك الأحكام، وتخيل كيف اكتشاف الحقيقة، تقول لك الأحكام لا يجوز لك أن تتصرف في المال بهذا الطريقة، مثلا واحد قرر أن يحرق ماله، تقول الشريعة لا، يقول مالي وأنا حر فيه، نقول من قال لك هذا الكلام؟ انت بنفسك لست حر في مالك ولا في نفسك لأنك أنت كلك ملك لله. فلما المالِك يحكم عليك أحكاما، أنت ماذا تقول؟ تقول أنا عبد، له الملك.

انظر كيف الظنون، أرأيت البحر الذي تناقشنا فيه سابقا، أن موسى -عليه السلام- يأتي ويقول له قومه ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ وموسى عليه السلام يقول ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ موسى -عليه السلام- يحسن الظن بالله، قوة حسن الظن بالله هنا، يقول له الملك، هذا البحر ملكه، هذا البر ملكه، هذه الأرض ملكه، يفعل فيها ما يشاء. نطبق على موقف موسى عليه السلام الذي يعتقد أن الله له الملك، البحر، البر، الجنود، فرعون، هو، بنو إسرائيل كلهم ملك لله.

ثم ﴿لَهُ الْحَمْدُ﴾ وهذا معنى عظيم، يعني أن الثناء كله لله، وان أفعاله كلها يحمد عليه سبحانه وتعالى. ما ينتظر منه إلا كل حكمة وخير.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ انظر كيف اجتمعت الثلاثة، قال ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، يعني الذي له الملك وهو محمود على كل تصرفاته، وهو على كل شيء قدير، ماذا ينتظر منه؟ أنه يعطيك في المستحيل قبل أن يعطيك في الممكن.

لا زلنا نكرر فكر في موقف موسى -عليه السلام- كان يمكن أن يخسف بجيش فرعون الأرض، يموتون، يحصل لهم كذا، لكن بسبب حسن ظنه ما أتاه في الممكن، بل أتاه في المستحيل ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، هذا ما تعتقده. بمعنى خلخل المشاعر أو الظنون الحاصلة أن هذا ملك فلان وهذا ملك فلان، وأنه لن يأتينا من كذا، أو لن يكون، هم وما يملكون ملكا لله، إلى أن تصل هذه إلى القلوب، وتعرف أن هذه التقلبات التي تحصل في القلب إنما هي ملك لله، وهذا بالضبط

الذي يجعلك تقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. تظن أن الملك ملك الله حتى في هذا الفؤاد، فانت من المؤكد أنك ستفزع إلى الله، لأن الملك ملكه، يدبر ما شاء.

انظر إلى الظنون؛ الملك ملك الله في الصحة والمرض، الملك ملك الله في الهداية والضلال، الملك ملك الله في الأرزاق وفي منعها، في الغنى وفي الفقر، قل ما أردت وفكر وقل الملك ملك الله.

أبنائك الذين اتعبوك وما اهتدوا، الملك ملك الله، الضيق والديون، الملك ملك الله، الصحة والمرض، الملك ملك الله. ويبقى هذا الشعور في حسن الظن بالله أن هذه الأشياء التي حولنا، الأخبار عما كان وما سيكون، هذه الأخبار أنها تحت ملكه يتصرف فيها كيفما شاء. الخطأ في الظنون، ما الذي يأتي للناس باليأس من الهداية ومن الشفاء؟ ظنوا أن هؤلاء لا يصلحون، ظنوا أن الدين لن يسدّ، ظنوا أن الصحة لن تأتي، هذه الظنون مبناها على سوء الظن في الله. لن نتكلم عن الأسباب وتوفرها، بل نتكلم عن الأمر المطلق، بمعنى أنك يجب أن تعرف أن الملك ملك الله، إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل، وكنا في سورة الطلاق قلنا أن ربنا سيجعل لكل أمر قدر، مقدار، وقت كما شاء سبحانه وتعالى، لكن نحن نتكلم عن ماذا تظن في رب العالمين.

ثم نسمع الأخبار عن الإنسان، ما هو الخبر عن الإنسان؟ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾، نحن متأكدين والحمد لله، ولا نحن محتارين، ولا نحن تعبانين، ولا نبحث عن نظرية الانفجار الكبير، ولا عن داروين والتطور، ولا على أي من هذه التفاهات، كل يوم لا يجدون كلام يأتون بفلسفة جديدة. هذا كله عندنا أصلا لا يستحق حتى الكلام عنه. لما تسمع كلمة الظن هنا هي اليقين، لا تشعر أن هناك شك، عندي ظن، بمعنى يقين، أنه خلقني. ما المتوقع بعد الخلق؟

المتوقع بعد الخلق أنه سيحصل نظر إلى ما خلق الله، ثم يهتدي الإنسان إلى الله.

هذه الآية ستطوي ظنون كثيرة في داخلها سنتفق عليها، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ثم ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢)﴾، هنا سنصل إلى مشكلة كبيرة في ظنون الناس في رب العالمين، ويمكن أن يؤيدها حتى عدم فهم كثير من النصوص الأخرى، وهي أن ربنا قدّر أن يكون هذا كافر، ربنا قدّر أن يكون هذا مؤمن.

لنحسن الظن بالله ونقول كلام مختصر بدون الدخول في التفاصيل، ربنا خلق الخلق وهداهم النجدين؛ بمعنى التفريق بين الحق والباطل. أنت تعرف الحق وتعرف الباطل وعندك القدرة على

دخول الحق أو دخول الباطل. حتى في الحديث تعرف أن أهل الإيمان يرثون مقاعد أهل الكفر في الجنة، وأهل الكفر يرثون مقاعد المؤمنين في النار. بهذا الجنة مليئة بالمقاعد للجميع، والنار مليئة بالمقاعد للجميع، ثم أتى الاختبار، انتهينا من هذه النقطة، خُلق الإنسان، ماذا أظن؟ وهو ممكّن من الهداية. والفطرة السوية والكلام المتصل بها، يعرف الفرق بين الخير والشر ومتمكن من اختيار الخير ومتمكن من اختيار الشر، ليس مجرد وجوده في البيئة يوصله على ذلك، ونحن وصلنا على الوعي الكافي في هذه النقطة، لأننا نرى من بين أحضان المؤمنين يخرج ملحدين، ومن بين أحضان الكافرين يأتي مسلمين، البيئة سبب من أسباب القوة، ولن ننكر، لكنه ليس هو السبب الرئيس في الهداية والضلال، والواقع يشهد على ذلك. أنت ممكّن من الهداية، تعرف الخير من الشر.

والأمر الثاني التمكن من الهداية ليس فقط في فؤادك أنك تعرف الخير من الشر، التمكن من الهداية موجود حتى خارجك، وهي ما هو موجود حولك من الدلالات، ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وهذه إحدى العبادات المهمة. إذا كنت تعتقد أن الصلاة والصيام هي العبادات الرئيسية، فالجواب نعم، لكن يساند هذه العبادات ويرتفع في منزلتها ما مدح في أواخر سورة آل عمران على أنه فعل من أفعال أولي الألباب ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، ما خلق هذا باطلا، النتيجة يصلون ويصومون، ما أتت هذه النتيجة إلا من هذا المبدأ. لما هذا المبدأ لا يُنتفع منه، لما نتركه، لما ما ندخل أنفسنا في عبادة أولي الألباب، تأتينا فجوة بعد ذلك، ونظن أننا كُلِّفنا شيء أنفسنا لا تقبله، لا والله لا نظن هذا في الله، قد هدانا النجدين وعرفنا، الحق من الباطل ومكننا منه ونثر آياته الدالة عليه في كل مكان، في نفسنا وفي كل الكون.

نحن نعتقد يقينا، نظن في الله أنه سبحانه وتعالى غيب لا تدركه الأبصار لكن أدلة كماله وجلاله وعظمته وجماله شهادة، يشهدها من اجتهد ليبصر، مسؤوليتك أنك تبصر، أما أن تغمض عينك ثم تقول ما اهتديت! هذه مشكلتك.

ماذا نظن في رب العالمين في مسألة الهداية والضلالة؟ ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ يعني منكم من اختار الكفر، ومنكم من اختار الإيمان.

هل عندنا كلنا على حدّ متساوي الفرصة لاختيار الكفر واختيار الإيمان؟

الجواب نعم، هذا الكلام يحتاج إلى كثير من التفاصيل، والسبب الرئيسي في جهل الناس في هذا الموضوع عدم مناقشة مسألة الفطرة بطريقة سليمة، لأن هذه الفطرة هي الجوهرة الإنسانية، هذه الفطرة قدرة في داخلك تميز بها بين الحق والباطل، ثم تفكر حتى تصل إلى الدلالات.

ولذلك ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كما في سورة يونس، هذا خطاب للكفرة، لكن لما تذهب إلى سورة آل عمران تعرف أن حتى أهل الإيمان مخاطبين بذلك، طريق الزيادة من هذا الطريق.

كم نتجاهل أن الله خلق الكون في غاية من التنوع ليكون لكل إنسان فرصة لمعرفة الرحمن من خلال أفعاله. أنتم أهل بر، أنتم أهل صحراء، في الصحراء آيات، أنتم أهل بحر، في البحر آيات، أنتم أهل أنهار، في الأنهار آيات، أنتم تغوصون داخل البحر، هناك آيات، أنتم تطلعون السماء، هناك آيات، أنتم عندكم جبال، هناك آيات، آيات في كل مكان، ما تكاد تلتفت إلا تجد آيات، وهكذا الدنيا، كلها مليئة بالدلالات، ما نوّع الله في هذا الخلق؛ ما أعطاك تفاح أحمر وأصفر وأخضر لتعمل سلطة! بل لتقول كيف جعل الله! ثم كلها بهدوء لا إشكال، هذه كأنها المنفعة الأخيرة، هذه المنفعة ربنا دائما يرغبك بما عنده عن هذه، لكن هذه لونها هكذا وهذه لونها هكذا وهذه لونها هكذا وهي تسقى بماء واحد لتقول سبحان الله، الحمد لله، ما أعظمك. التنوع الكوني يقول لك ماذا تظن برب العالمين.

هذه الأخبار التي اتتنا ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ المعنى ماذا تظن؟ أن الجميع عنده فرصة متساوية للوصول إلى الحق، وعنده قدرة على الاختيار بين الكفر والإيمان، وهذا أمر لا يحتاج إلى فلسفة ولا أحد يفتينا فيه، أنت بنفسك تفكر في الخير، وتهتم به، ثم تعزم عليه، هذه مسؤولياتك، ثم رب العالمين يوفقك له. وبالعكس، القلب يغلي بالشر، ثم يبدأ يخطط للشر، ثم يعقد العزم، ثم ربنا يعطيه قوة على فعله. هذا ما نظنه في رب العالمين. أنت تطهر قلبك وتنوي الخير، كما قال الإمام أحمد لابنه "إنْوِ الخير فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير"، لأنك إذا نويت الخير وصدقت في نية الخير أتاك العزم، وإذا أتاك العزم أتاك التوفيق، حتى لو لم تنتج نفس العمل أجرك مكتوب، والعكس بالعكس. هذا ما نظنه برب العالمين؛ أنه مكّن أهل الخير من الخير، ومكن أهل الشر من الشر ابتلاء وفتنة ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ لماذا كافر قبل مؤمن؟ يقول أهل العلم: لكثرتهم، سيتبين لنا في الانتقالة ما مشكلتنا، لماذا الكفار كثر؟ وتجد أن لهم شبههم في ذلك؟ العمى، الله يكفينا شر العمى. وهذا كثير في القرآن، أن هناك بصير وهناك أعمى، الأعمى مشكلته، وهنا ليس أعمى البصر إنما البصيرة، مشكلة هذا الأعمى أن الآيات كلها حوله ولا يراها. انظر إلى المشكلة، هنا لا زال ماذا يظن، ماذا يظن بكل هذه الأشياء المتنوعة التي حوله، ماذا يظن بالسماء التي ذات أبراج؟ ماذا يظن

بالأرض ذات الفجاج؟ ماذا يظن بالليل والنهار؟ انظر على آية الليل والنهار في قصرها وطولها، والله إنها مفاجأة، انظر كم نحن متفاجئين من الفجر، من يضع ساعته على أساس أنه سيستيقظ قبل الفجر بساعة سيجد أنه يصلي الوتر بأسرع ما يكون. حتى من يراقب غروب الشمس، عين الشمس كبيرة، وحتى من يراقبها ثواني وتختفي، تسقط، كل هذه ماذا تقول؟ أليست هذه آيات؟

كيف أنت تكون في جدة تنظر غربها فتجد الشمس تغرب، ثم تنظر إلى شرقها فتجد القمر ظاهرة من الجهة الأخرى! أليست هذه كلها آيات؟ أي أنت أيها الإنسان، بعد كل هذا يخرجون الكاميرا ويصورون، وهذا آخر الكلام، أين التفكر؟ الله يعيننا.

علينا أن نركز أن هذا كله ليس عبثا، ليس كل يوم تعرض عليك الآيات، وليس كل سنة يطول النهار وينقص الليل وينقص النهار ويطول الليل حتى تقف أمامه موقف المندهش على أن الليل طال والنهار قصر، ورب العالمين الذي جعلها آية؟ يجب أن نفكر أنه كيف كنا الساعة السادية نوقظ الأولاد ليذهبون إلى المدارس، والآن بين الفجر وبين السادسة قصة طويلة. هذا كله يجب أن يثير الوجدان في عظمة الرحمن، هذه الأخبار التي أتتك عن الإنسان أن منهم كافر ومنهم مؤمن، يجب ان تعرف أن سبب هذا هو ظنونهم. ماذا تظن في كل شيء يدور حولك؟

إلى أن نصل على أمر مهم، ماذا تظن حتى في الأقدار التي تجري حولك؟ آيات الله للإنسان التي توصله للإيمان، ما خلق الله، هذه آية، وما قدر الله، هذه آية. ما قدر الله الأحداث التي تجري عليك، الأحداث التي تخصك ماذا تظن فيها؟ هذه تقربك للإيمان أو تبعدك عن الإيمان.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢)﴾ كيف ذهبتم هنا أو هنا؟ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ما المقصود؟ كل الكلام الذي قلناه، خلق السماوات والأرض وما فيهما وكل الدلالات حتى تدلك على الحق، لا تكن أعمى، كل الكلام الذي قلناه سابقا تصفه هذه الآية؛ هل قامت على الناس الحجة؟ بالتعبير الشرعي، قامت عليهم الحجة، أين الحجة؟ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ يعني أن كل الذي فيها يدل على الحق لمن تفكر وتدبر وتأمل.

أسال أي أحد موجود في أي أرض مكسوة جبالها بالخضرة، أنت كسوتها؟ لا، آباءك؟ لا، أجدادك؟ أنت ترعى هذه الجبال المكسوة بالخضار؟ الجواب لا، إذن إذا أنت لا ترعاها ولا أنت الذي أنتجتها، ألا يدلك هذا على أن هناك من أوجدها ورعاها؟ لا بد أن يكون، لأنك بفطرتك مستحيل ان يكون هناك

فعل وليس له فاعل، وصفة الفعل تدلك على صفة الفاعل، فعل بهذا الجمال، بهذا الكمال، بهذه العظمة ماذا سيكون فاعلها؟ يجب أن يكون له الكمال والجمال والعظمة.

أنت بفطرتك السوية تعرف أن الأماكن العالية للعظماء والأماكن المنخفضة للحقيرين، لما تتكلم عن أحد تجد أن له مكانة يجب أن تشعر أنه فوق، الذي صنع هذه الأشياء عظيم، له صفة الجمال والجلال والقدرة التامة، أين سيكون؟ أكيد في العلو. الناس يصلون إلى الحقائق من خلال ما خلق الله في السماوات والأرض، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾.

ما وصلوا من السماوات والأرض، نقرا بعدها ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ إذا أغلق عليك باب السماوات والأرض انظر إلى نفسك انظر للناس حولك، انظر للطفل الصغير المولود، والله إنها آية مدهشة، ما كان موجود في العام الماضي لما عيّدنا، وفي هذا العام عيّدنا وهم موجودين، من أين أتوا! يجب ألا يجعلك الاعتياد تنسى أنه شيء عجيب في غاية العجب، أن يكون غير موجود ثم انت تشهد وجوده، شيء عجيب يجب أن نفكر فيه، ثم نجد أن هذا له صورة وهذا له صورة، والكلام عن هذا الموضوع يطول عند أهل التخصص، بصمة اليد وبصمة العين وبصمة الوجه، وكل يوم يخرجون لك شيء يقول أنت منفرد صورت صورة تخصك ما يشاركك فيها أحد، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ كيف لا تكون آية تدلك على الله؟

كل هذا الكلام يورثك حسن الظن بالله، دخلنا في التفصيل، نعود إلى نقطة البداية:

يجب أن تعتقد أن قدرة الإنسان على اختيار الإيمان متوافرة، متهيئة، لا يوجد أحد ما عنده قدرة على اختيار الإيمان أبدا. من في أدغال افريقيا؟ دائما نتذكر قصة الفتية أصحاب الكهف، في السياق لا يوجد دليل على وجود نبي، ﴿قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. فطرة سوية وآيات كونية ونفسهم والأشياء التي حولهم قالت لهم مستحيل. لو قلنا أن هذه الفعال العظيمة فعلها هذا الحجر أو الشجر قلنا شططا، كلام لا يقبله العقل.

نجد في سورة الكهف مرتين الكلام عن الرشد، العقل الرشيد الذي يوصل الإنسان إلى الحقائق. اعرف أن الإنسان لو كان فيه ما كان، في أي مكان كان، فطرته السوية، الآيات الكونية التي حوله يجب أن توصله إلى أصل الإيمان. ثم كيف يهتدي على الشرائع؟ هذا ليس شأننا، أنت فقط افهم هذه القاعدة. الفتية الذين آمنوا بربهم، هم ابتدأوا وزادهم الله هدى، في القصة كلها لا يوجد عمل ولا شرائع، فقط هناك إيمان فصاروا آية ممن آيات الله. فلا تفكر في الشرائع، فكر في وصولهم للإيمان.

وكما أنك تعتقد أن الله يرزق كل من في الأرض ماديا بصورة لا يمكن لك أن تعرفها، فلا تظن أنه سيرزقهم ما تقوم به أبدانهم ولا يرزقهم ما تقوم به اديانهم، لأن دينهم أهم من أبدانهم. فكما تظن أن يوصل لهم الرزاق ألطف ما يكون بألطافه، فبألطافه يوصل لهم الإيمان، قبله من قبله ورفضه من رفضه. لا تظن أن هناك أحد يُظلَم أبدا.

لا يقول أحد آمنا لأننا نعرف الإيمان، مساكين من لا يعرفون الإيمان، أنت ماذا ستجيب؟ ماذا تظن في رب العالمين؟ انه كما أوصل الرزق البدني لكل الخلق، أوصل لهم رزق الإيمان بكل التفاصيل التي تكلمنا عنها. لكن ليس موضوعنا الآن أن ندفع الشبه، موضوعنا أن نؤسس حسن الظن فيه، سبحانه وتعالى.

هذا فيما خلق الله، ونلاحظ أن ربنا قال في الآية التي تليها ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤)﴾ كم مرة تكرر العلم؟!

هذ الذي يزيد إيمانه ويقترب وتنكشف له الحقائق، وهذا الذي يزداد عمى ولا يرى، كيف صار الفرق بينهم؟ بالعلم، الله يعلم ما في السماوات والأرض، يعلم ما تسرون وما تعلنون، والله عليم بذات الصدور، تريد الهداية؟ هؤلاء الفتية الذين ﴿قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ربنا مطلع على صدق إرادتهم للحق وبحثهم عنه، صب عليهم الإيمان. هم اهتدوا فزادهم الله هدى، بهذه الصورة.

نحن في مسألة الإنسان وصدقه في معاملة الرحمن وزيادة إيمانه. أنت ماذا تظن في رب العالمين؟ أظن أنه مطلع على ما في فؤادي، مطلع على صدقي في إرادة الحق، صدقي في زيادة الإيمان، صدقي في إرادة رضاه، مطلع على ذلكن سبحانه وتعالى، سيأتيك، سيصب عليك، سيعطيك، سيفهمك، سيعينك، لكن يجب أن تظن أنه يعاملك على ما في فؤادك، لا يوجد غش مع رب العالمين أبدا.

تكلم الناس بلسانك أنا أحب الهداية وأحب حفظ القرآن، تتكلم، ما أسهل الكلام! وما الذي عند المنافقين؟ في سورة المنافقون ما هي صفاتهم؟ يقول رب العالمين ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾، لما يتكلمون يقولون كلام جميل لكنهم ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾. عليك أن تفهم هذا الكلام جيدا، أنه لا يوجد غش لرب العالمين، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، كل ما في السماوات والأرض ثم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ثم أدق من ذلك ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، يجب أن تعرف أنه ثلاث مرات يأتيك الخبر؛ كن مركز وأنت تتعامل مع رب العالمين في مسألة الإيمان والكفر.

في الحديث المشهور ((إنَّ الرَّجُلَ لَيَعملُ عَمَلَ أهلِ الجَنَّةِ)) الرواية الثانية تبين الموضوع ((فيما يَبْدو لِلنَّاسِ فَيسبِقُ علَيهِ الكتابُ فيَعمَل بعملِ أَهْلِ النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَلُ عَمَلَ أهلِ النَّارِ فيما يَبْدو لِلنَّاسِ))[١] ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، القصة أمام الناس لكن يجب أن تعلم أن ربنا ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. في مسالة الهداية والزيغ أنت تحسن الظن في الله ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ هم ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾

لا تعتقد أن واحد مهتد صادق في اهتدائه، راغبا إلى ربه، متمسكا بحباله، أن ربنا يزيغه، أبدا لا تظن في الله هذا الظن، لكن أنت تخاف من نفسك، تحسن الظن برب العالمين وتعرف أنه ما يعامل الخلق إلا على ما قام في قلوبهم، ظُن بالله هذا الظن.

لما ننظر إلى ظنوننا في الله -عز وجل- في مسألة الهداية والضلالة، نقول الناس منهم كافر ومنهم مؤمن لأنهم أعطوا كل الأدوات للوصول إلى الإيمان، وكل الأدوات للوصول إلى الكفر، ومن ثم نظن برب العالمين أنه أعطى الجميع الفرصة الكافية لذلك.

ننتقل الآن عن الأقدار التي تجري عليك. كما أنك تظن أن الإيمان والكفر الجميع عنده الفرصة للوصول إليه، كذلك عليك أن تعتقد، وهذا فرع منه، أن الناس لما تأتيهم أفعال الله في الأقدار يظنون ظنون مختلفة ومن ثم يتصرفون تصرفات مختلفة.

سنذهب إلى **سورة ص**، وسنجد في سورة ص كلام واضح عن موضوعنا هذا، نذهب إلى داوود -عليه السلام- في القصة المشهورة، في بداية السياق الكلام عن أن الله سخر الجبال معه والطير يسبحن بالعشي والإشراق، وهذا قد أشرنا إليه، من التناغم مع الكون، كما يعبرون. وهذا يشبه بداية سورة التغابن وغيرها من السور التي تدل على التسبيح بالسماوات والأرض، لكن ها ليس موضوعنا، موضوعنا متصل بالقصة التي حصلت وكثير منا يشعر بالغموض تجاه هذه القصة. خصمان تسوروا المحراب وأتوا إلى داوود، ونلاحظ أنهم لما وصفوا الموقف قالوا ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ﴾ ونركز في هذه الكلمة ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ماذا طلبوا منه؟ ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا﴾ طلبوا منه الحكم، وكأنهم نبهوه ألا يحصل منه شطط وأن ﴿وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ وحكوا له القصة ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ماذا فعل له؟ ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ يعني ضغط عليه، قال له هات ما عندك فواحدة ماذا ستفعل بها؟ هاتها مع التسع وتسعين وتصبح ملكي وانت واحدة تتعب فاتركها لي. داوود -عليه السلام- قال له قول الحق ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.

الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ إلى هنا كلام داوود -عليه السلام- ما فيه أي مشكلة، أولا نفكر في هذا القدر الذي صار، القصة هذه، وصولهم إليه، كلامهم معه، ماذا ظن داوود عليه السلام فيها؟ ماذا ظن في هذا القدر الذي جرى عليه من ربه، هو لا ينظر للخصمان على أنهم أشخاص، بل ينظر على أنه قدر وابتلي به. لذا قال ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ﴾ ماذا ظن؟ الكلمة واضحة، ظن داوود أن هذا القدر الذي جاءه إنما هو فتنة، اختبر.

لذلك لما تفهم هذه النقطة تستطيع ان تفهم القصة، تفهم أين الفتة، أين الاختبار. القصة شاهد لنا على أمر غاية في الأهمية وهو أن

الأقدار التي تجري عل الإنسان يقرأها المؤمن على أنها اختبارات

هذا الذي أظنه في رب العالمين، أظن أن رب العالمين يربيني، يهذبني، يؤدبني، يعلمني بالأقدار التي تمر علي.

مثلا تقول دائما مديري متسلط، أنا دائما زملائي يضيعون مواعيدهم، يجب أن تفكر لماذا يحصل هذا؟ لماذا يأتي متسلط؟ حتى ترى نفسك في المرآة، أو لأن عندك فرصة للتسلط وربنا ينهك إلى شكل المتسلطين.

تقول دائما أنا أمر على مواقف أجد أناس يغضبون ويصبح شكلهم سيء وهم غاضبين، لماذا هذا نصيبك؟ فتقول ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

نقول بكلام مختصر ما الذي تظنه، داوود -عليه السلام- نبي وفي نفس الوقت له ملك، الكلمتين التي قالوها ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ والكلمة الثانية ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾، وداوود عليه السلام يقول ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وهم قالوا ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، والمفروض أن من عنده الأكثر يعطي من عنده الأقل، لكن لما من عنده الأكثر هو الذي يقول لمن عنده الأقل هات الذي عندك يكون بغي، بمعنى طغيان. الإنسان لما يكون عنده حالة من الطغيان لإحساسه بأنه يملك يتعدى على الآخرين، يقول لا يجب أن يكون عندك واحدة، هاتها. الملك قرين الطغيان.

في أول سورة نزلت في القرآن تخبر عن ضعف الإنسان وفقره، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ بهذا القدر انت ضعيف ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ وانت أيضا

جاهل، ثم ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثم فورا ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ إن رأى نفسه مستغن فورا يقفز إلى الطغيان.

يجب أن تفهم أن الملك قرين الطغيان. هل يجب أن نملك قصورا وثروات؟ لا، ليس شرط لأن الآية ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ تستغرق كل الناس ﴿لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ لذا ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ فكر في هذه، أنك سترجع لربنا وتصبح في مكانك.

المستكبرين، والاستكبار مادته الطغيان، يوم القيامة يصبحون كأمثال الذر تطأهم الناس بأقدامهم يوم القيامة، والسبب أن هذا الطغيان كبّر الناس.

الشاهد أن الملك قرين الطغيان، ربنا أتى له بهؤلاء، أرى داوود -عليه السلام- كيف يمكن أن يحصل من الإنسان الطغيان، كل الناس معرضين -ما داموا يملكون- انهم يحصل لهم طغيان، لا تتصور أن الأقرب إلى فؤاد الإنسان الرفق والإحسان، بل الأقرب لفؤاد الإنسان -ما دام ليس هناك تقوى- الطغيان.

هل رأيت الذي الناس يسمونه ظاهرة التنمر، هي في حقيقتها نوع طغيان، لأنهم يضربون من؟ ويؤذون من؟ الضعيف الذي حقه الإحسان والإعانة، فهم يضربونه، للطغيان، لأنه شعر أنه أقوى منه فيطغى عليه فورا، هذا من الطفل الصغير على الإنسان الكبير.

الشاهد أن رب العالمين أراد من داوود -عليه السلام- أن يرى صورة الطغيان، كيف الناس في الحياة يرون صورة الطغيان، فداوود عليه السلام ظن ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾، يعني اختبرناه، أريناه صورة الطغيان من أجل أن يلتزم، وهو ملتزم ما أمر الله، وما نظن فيه انه تعدى أو طغى، أو مثلما يقول بني إسرائيل عن داوود -عليه السلام- كل الخرافات التي يتكلمون عنها، نحن نفهم أن الأقدار التي تمر على الإنسان اختبار، تعلم، تفهم، تريه الصورة، تكشف الحقيقة، وقل ما اردت في تربية الإنسان وتزكيته.

انظر للإنسان الواعي، لما يمر عليه الحدث لا يمر عليه كما اتفق، بلا تفسير وتأويل، تقول سأوسوس كلما فسرت وأوّلت! نقول الذي لا تفهمه من الأقدار التي تدور حولك استهد الله، اطلب الله أن يفهمك إياها، وكثير من الحداث لا تفهمها إلا بعد وقت، تمر عليك وتبقى علامة استفهام في ذهنك ثم تفهمها بعد وقت. لكن يجب أن تظن أن كل الأقدار التي تمر علينا والأشخاص والأوضاع كلها اختبار وفتنة وتعليم للإنسان.

نفترض أن عندك تجارة وضعفت ويجب أن تقترض، فتفكر وتقول يا رب ارزقني قرضا حلالا، ثم أحد يرسل لك يقول توجد مساهمة، فأنت تقول هذه ربنا رزقني إياها، لا تسأل هل هي حلال أو حرام، فتقتحمها، وهي أتتك لأنها اختبار، تميزها، تعرف هل هي صح او خطأ، مناسبة أو غير مناسبة، إلى آخره.

مثلا ظننت في أحد من الناس أنه يكذب في قصته، ثم أتى أحد قال لك أنا إحساسي أن هذا يكذب فتفرح بهذا الذي أتاك وتعتبر كأنه أتى لك بخبر من عند ربنا، ولا تعرف أن هذا أتاك فتنة، متى ستندم؟ بعد وقت لما تعرف أنه صادق، وظهر أن هذا الذي أتى في طريقي الذي قال أنا اشعر هو اختبار علي حتى أميز في الداخل أو لا أميز، إلى آخره.

استعمل الاستهداء، اطلب من ربنا أن يهديك للحال الحقيقية. داوود -عليه السلام- ظن ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ هذا ظنه، أن ربنا الحكيم لا يمكن أن يجري أقدارا كما اتفق، لا تظن في رب العالمين هذا أبدا. لذلك كل ما زاد حسن ظنك بالله عرفت أنك لا تحبس ثانية واحدة عن مسألة إلا وفيها مصلحة.

في كل الأحوال نتأخر ثم ربنا لما يريد بنا خيرا يفهمنا أن هذا التأخير كان لمصلحتنا. الدرس أتى أول مرة، ثم مرة ثانية ربنا افهمك لمصلحتك وأنت عصبت ثم ربنا افهمك أنه لمصلحتك، وإلى متى كلما تأخرت تعصب ولا تتذكر المرات التي ربنا رباك فيها وفهمت أن هذا التأخير في مصلحتك! وان هذا المنع في مصلحتك، وأن هذا الضيق في مصلحتك. ماذا تظن برب العالمين!

داوود ظن ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ فتصرف فورا، ماذا فعل ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ثم أتى ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾، رب العالمين بين أن هذا الذي يقرأ الحدث كما ينبغي ويفهمه كما ينبغي، ويراعي في الحدث أن ربنا حكيم، له عند رب العالمين المنزلة العظيمة، لذلك ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ إلى آخر الآيات.

نذهب إلى الآية ٢٧ تظهر لك كلمة ظن، عكس الذي كنا نتكلم عنه في سورة التغابن، خلاف الذي ظنه داوود -عليه السلام- الناس الذين لا يعرفون رب العالمين في نفسهم سوء ظن برب العالمين، ما هو سوء الظن هذا؟ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ أنت في التغابن سمعت أنه خلق السماوات والأرض بالحق، وهؤلاء يظنون أن ربنا خلق السماوات والأرض باطلا. ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾، ما معنى باطل؟ أكيد أن باطل ضد الحق، هناك ظننت أن خلق السماوات والأرض حق، ما معنى هذا؟ تدل على الحق بكلام مختصر، لا توجد ورقة شجرة تراها

تسقط إلا يعلمها رب العالمين، فهذه تحرك في وجدانك هذه المشاعر، أنت لا يمكن أن تتصور علم الله، لكن رب العالمين يقرب لك هذا العلم، ويقول لك أنه لا توجد ورقة تسقط إلا يعلمها. ثم تمر على بستان، على حديقة وتجد الورق ساقط فتظن أن كل ورقة ساقطة يعلمها الله، يعلم من أي شجرة سقطت، متى سقطت، كم عدد الساقط، ماذا سيسقط بعدها، لماذا ربنا أسقط الأوراق؟ حتى تعرف شيء لا يمكن أن تتصوره كله، لكن تفكر في هذا فتعظم رب العالمين. هذا معنى أن خلق السماوات والأرض بالحق، هنا حدث، وهنا حدث، وهنا حدث، كله يعرفك برب العالمين.

لا يمكن أن تتصور مثلا أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور بكل دقة، أن الله قائم على كل نفس بما كسبت، أن هذا الدم الذي يجري في بدنك إنما يجريه الله، هذه التفاصيل لا يمكن أن تدركها، لكن نموذج واحد مثل نموذج سقوط الورقة وتفكر فيه، وتقول كل ورقة تسقط من أي شجرة ربنا يعلمها، هذا النموذج يدلك على حق عظيم فتعتقده. العكس، من يظنّ أن ربنا خلق السماوات والأرض باطلا، ماذا يظنّ هذا؟ الباطل عكس الحق يعني هذه الورقة تسقط هؤلاء الناس يتقابلون، هذه الأحداث تحصل، هذه كورونا تأتي، هذا الاقتصاد العالمي ينهار.. أحداث حصلت للأقوام قبلنا، فيقولون في عام كذا حصل كذا، وهذا الوباء حصل، أشياء تصير في الكون، عادية، ما لها أي دلالات، هذا هو الباطل! تُحبس ويأتي مرض ويضعف الاقتصاد ولا أحد يفكر كيف انحبسنا؟ كيف أطلقنا؟ لا شيء!

في الرواية أن المؤمن لما يمرض يعرف أن الله ابتلاه، ويعرف أن الله رفع عنه، ويعرف أنها كفارة، لكن الكافر والمنافق لا يفهم هذا كله، إلا مثل البعير الذي حبسه قومه ثم أطلقوه في الحديث، مثل البهيمة، لماذا انحبست؟ يأتون بآراء كثيرة في سبب الحبس، وآراء كثيرة في سبب المرض، وكلٌّ يرمي على الثاني سبب المرض، ولما تناقش من يظن أن الله خلق السماوات والأرض بالحق يفهم فورا أنه لا يمكن أن تجري الأقدار كما اتفق، مستحيل. ناقش من يعتق أن السماوات والأرض خُلقتا باطلا، يقول لك هذه من الأحداث التي تصير، ومن الطبيعي، والأوبئة دائما تكون وكذا، وكذا.

هناك فرق في فهم الأحداث. داوود -عليه السلام- ظن ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ لا يوجد حدث هكذا يكون أي كلام، كما اتفق. من لا يفهم لماذا خلق الله السماوات والأرض، أو يظنون أنه خلقها باطلا، يعتقدون أن الأحداث تجري كما اتفق.

لذلك قال الله -عز وجل- ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ هؤلاء ظنونهم أدخلتهم النار، سنعود لنفس القصة؛ ظنونهم التي ظنوها أدخلتهم النار. هؤلاء ما فهموا أن كل شيء له دلالة؛ مخلوقات لها دلالة، أقدار لها دلالة، لا يوجد شيء كما اتفق.

سنبدأ الكلام عن الإنسان وستكون إن شاء الله موضوعنا في السبوع القادم.

هذا من الظنون الفاجرة في الله -عز وجل- الباطلة ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ كيف تظنّ في رب العالمين أنه يساوي بين المؤمنين والكافرين؟ المشكلة أن الناس ما يظنون أن الله يساوي بين المؤمنين والكافرين، يظنون أن الكفار أحسن من المؤمنين، وهذا من أسوأ ما يكون ظنًّا. هذا ظنّ فاجر في رب العالمين، وهو مما يفسد الدين، هذا من سوء الظن الذي يُردي صاحبه، وسنرى إن شاء الله كم في القرآن كرر علينا الحذر من هذا الظن، أن يجعل الله المؤمنين كالمفسدين، يجعل المتقين كالفجار، مستحيل أن يكون المتقين كالفجار، والدنيا ليست مقياسا. ماذا تظن؟

هناك أعمال تعملها، هل رأيت الأخبار التي أتت عن داوود -عليه السلام- الأخبار التي أتت عن السماوات والأرض، الأخبار التي أتت عن الإنسان؟ كلها فيها ظنون! ماذا نظن في الإيمان والكفر؟ أن الله مكّن الناس من الإيمان والكفر، ماذا تظن في خلق السماوات والأرض؟ أنهما خلقتا بالحق، ماذا تظن في الأقدار التي تجري عليك؟ ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾، لا شيء يمر عليك وما يكون لك فكرة في داخله، ولذلك لما تأتي هذه النقطة في الأسبوع القادم إن شاء الله ويأتي معها التفكير سنرى كيف تفكر وتحلل الأحداث بكلام مختصر. نلتقي في الأسبوع القادم على خير.

اللقاء الرابع يوم الخميس ٢٢ ذو القعدة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. اليوم إن شاء الله لقاءنا الأخير في هذه الدورة التي كان مقصودها تحويل النص إلى واقع؛ من النصوص إلى تطبيقها. وقد مرّ معنا كثير من المفاهيم، نحاول اليوم أن نركز على المفهوم الأخير المطلوب منا مناقشته.

نقطة الانطلاق هنا أن **القرآن قد جاء من أجل إصلاح الإنسان، ولذلك لا يتصور أن القرآن لا يؤثر على سلوك الإنسان و اتجاهاته الفكرية. من المؤكد أن القرآن المفروض أنه يقود الإنسان.** ولكي يقود الإنسان يجب ان تشعر أن المطلوب منك، مع القرآن، تحويل هذا النص المقدّس إلى عمل تقوم به. ولما نقول عمل تقوم به سنعدي على أنفسنا ونقول لا تنس أن أعمال القلب مقدمة على اعمال الجوارح، أعمال القلب يحاسب عليها الإنسان قبل أعمال الجوارح، إذا بعثر ما في القبور، أول شيء حُصِّل ما في الصدور. أعمال القلب هي التي تعطي لأعمال الجوارح قيمة، إلى آخر الكلام الذي دائما نتناقش فيه، أن أعمال القلوب أعمال معظّمة عند رب العالمين، لا تهملها. لما نقول العمل لا تتصور أن العمل عمل البدن فقط، عمل البدن كأنه هو التابع، لا يهمل عمل البدن، نحن ما عندنا تطرف فكري، ما عندنا بدن بدون قلب، ما عندنا قلب بدون بدن، ما عندنا سبب من الأسباب الشرعية ولا يوجد سبب من الأسباب الكونية. ما عندنا هذا التطرف، الصعوبة في هذا الدين أن المطلوب أن تجمع بين الأطراف وتسير بها، والتطرف أسهل بكثير من الوسط.

لو قال أحد تريد سبب للشفاء عليك بالأطباء، هذا أسهل من أنك تقول عليك بالأطباء وعليك بكلام الله، وعليك أن تقرأ القرآن، وعليك أن تقول الأدعية، وعليك أن تقوم بهذا وهذا معا. أو أحد يقول تريد الشفاء عليك بالقرآن ولا داعي للأسباب، سهل أن امسك طريق واحد، لكن الجمع بين الطريقين هذا الذي فيه صعوبة. هذه قاعدة لا ننساها أبدا، أن رب العالمين يختبرنا في مثل هذا في الوسط.

نقطتنا التي نركز عليها العمل، اعرف ما في القرآن لتعمل به، من حديث أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن عرفنا أن القرآن فيه ثلاث مواضيع أساسية، انطلاقا من هذا الحديث، لو سئلت لماذا هي ثلاثة مواضيع أساسية في القرآن؟

نقول بدليل أن النبي ﷺ قال إن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، يعني تعدل ثلث القرآن من جهة كون أن موضوعها هو الخبر عن الله الخالص يصل إلى أن يكون ثلث مباحث القرآن، مواضيع القرآن

ثلاثة أشياء؛ الخبر عن الله سبحانه وتعالى، وأوامر الله، والخبر عما كان وما سيكون وعن الإنسان. سرنا في هذا بالترتيب، وعرفنا أن كل هذه الثلاثة أقسام في النهاية تقول للقلب عظّم الله، وقِّر الله، تقول للقلب اتجه لله، هذا هو العمل النهائي من كل هذه الأقسام.

مررنا على القسم الأول وهو الأخبار عن الله، وتناقشنا فيها وتكلمنا كيف تكون الأعمال، وهو في الكلام عن الظنون التي تحملها عن الله. هذا العمل القلبي هو ظنونك التي تحملها. الأخبار عن الله مباشرة تصبّ في ظنونك، يجب أن تظن أن الله قريب، وأن الله مجيب، يجب أن تظن ما أخبرك ربنا به مباشرة. ثم الأوامر والنواهي أيضا تصب في ظنونك في الله، ظنونك هي التي تأتي بأعمالك، أتتنا أخبار عن الله، هذه الأخبار التي أتتنا عن رب العالمين صبت في قلوبنا، شكلت ظنوننا، هذا هو العمل!

بمعنى أنت تظن أن رب العالمين قريب؟ يسمعك؟ ماذا ستعمل؟ إذا ظننت أن رب العالمين قريب، وظننت هنا بمعنى تيقنت، يسمعنا، ماذا يحصل؟ الدعاء، المناجاة، السؤال، الرجاء، ذكره سبحانه وتعالى. كل ظنّ تظنّه بالله لا بد أن يكون له أثر في العمل. الجزء الأول في القرآن يصب في الفؤاد الأخبار المباشرة عن الله، أنه قريب، أنه مجيب، أنه الصمد. لذلك تقول لنفسك كل يوم وتكرر، على حسب ما توفق، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (قل) هذه العقيدة التي تعتقدها أن الله أحد وأنه صمد. هل تظن أن الله صمد؟ هل أنت متيقن بهذا الأمر؟ إذن كل ما مر عليك شيء ستفزع إليه، هذا إذا كنت حقا تعتقد هذا الاعتقاد، تظن هذا الظن. الفزع إليه في كل شأن هو أثر هذه المعرفة، أثر ظنك. كل الأخبار عن الله يجب أن يكون أمامها عمل، المعبر بين الخبر عن الله وبين العمل هو ظنك، هذا هو المعبر، ماذا تظنّ؟ هل ما سمعته من أخبار عن الله وقر في القلب وصارت ظنونك التي تظنها في الله أم لا؟ وبهذا يأتي العمل من الجهة الأخرى.

الأمر الثاني كل الأوامر التي في القرآن لو ظننت فيها حسن الظن في الله، أنه ما أمرك بها إلا لمصالح تعود عليك، والمصالح لا تظن أنها المصالح الدنيوية، وأنها المصالح التي تحقق هدف وجودك؛ ابتداء بتزكية نفسك وانتهاء بدخولك جنات النعيم، كل الأوامر توصلك إلى هذا الأمر.

إذا ظننت أن أوامر الله تزكيك، تطهرك، ترفعك، تنجحك، تصلحك، تسعدك، إذا ظننت هذا ستدخل على الأوامر بهذه الظنون فتنفذها وأنت واثق في النتائج، بهذا نكون أتينا بسورة الطلاق أمامنا وقلنا أن هذه أحد الأزمات التي يمر بها الناس، ولاحظنا أن سورة الطلاق مليئة مع كل أمر من الأوامر هناك خبر عن الله -عز وجل-.

هذه الجملة التي نكررها دائما أن (من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)، هذه التي نكررها في كل أحوالنا لما تضيق علينا الأمور موجودة في سورة الطلاق، هذا دليل على أن كل أوامر الله ما وُجدت إلا اختبار لك، إذا امتثلت، وأنت محسن الظن بالله ستجد من ورائها كل الخير. وضعنا سورة الطلاق نموذجا.

ثم أتانا الكلام عن النوع الثالث وهو الأخبار عما كان وما سيكون وعن الإنسان، وهنا ابتدأنا بسورة التغابن ثم ذهبنا إلى سورة ص، بدأنا في التغابن وسمعنا عن خبر مهم في بداية هذه السورة، خبر أنت المفروض ان تعيشه وتعتقده وتتيقن به، ناقشنا الصلة بين الظنون والتفكير، لما تقول أنا اظن هذا الظن، تقول أنا أفكر بهذه الطريقة.

انظر في بداية التغابن وغيرها من السور التي بدأت بالتسبيح، بالنسبة للتغابن كان الخبر بادئ بأمر عظيم في السماوات والأرض أنه ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ من يسبح لله؟ ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني يسبح لله السماوات والأرض ومن فيهن. هذا الخبر عما كان وما يكون، وما هو مستمر إلى أن تقوم الساعة. هذا العمل حاصل إلى أن تقوم الساعة. لا تسمع هذا الخبر كأنه لا يشغلك أو لا علاقة به، أو لا يشغل وجدانك، بل يجب أن تسمعه خبرا يشغل الوجدان. وقد مر معنا الحديث: ((ما تستقِلُّ الشمسُ)) كل يوم، ما تخرج ((فيبْقَى شيءٌ مِنَ خلْقِ اللهِ إلَّا سبَّحَ اللهَ بحمدِهِ إلَّا ما كانَ مِنَ الشياطينِ، وأغبياءِ بني آدَمَ))، هذا إشارة إلى أن المفروض أن تنسجم مع الكون. نحن ننسجم مع الكون بأننا نقول أذكار الصباح إلى أن نصل إلى سبحان الله وبحمده، التي هي أذكار اليوم والليلة، لكن هل نشعر بحالة الكون؟ بهذا يتفاوت الناس، هل الأخبار القرآنية تتحول إلى يقين، إلى ظنون تعيشها؟ وظنون هنا بمعنى اليقين، بحيث أنك لو نظرت للأشياء أول ما يتبادر إلى ذهنك -وهذا هو العمل- الخبر الذي أخبر الله به عن هذه السماوات والأرض؟ عن هذه الكائنات؟ هذا هو الفرق بين الناس؛ أول ما ترى الأشياء ماذا يتبادر إلى ذهنك؟ تصور أنك تتذكر السماوات والأرض كما في سورة فصلت، فتقول ربنا قال للسماوات والأرض ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ فردّت، تكلمت ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

هل الغيب له حياة في الفؤاد؟ أو أن الفؤاد مستسلم للمحسوسات ولا يستطيع أن يرى ما وراء المحسوسات؟ هذا هو الفرق بين الناس، هل القلب يعمل بالأخبار الموجودة؟ السماوات والأرض تسبح وأنا ماذا أعمل؟ تظن، تعتقد أنها تسبح، أول ما يتبادر إلى ذهنك أنها تسبح، كما سيتبادر إلى ذهنك لما تقرأ في سورة ص أن داوود -عليه السلام- يسبح وربنا سخّر له الطير، سخّر له الجبال تؤوّب له التسبيح، فهو يسبح وهي ترد عليه.

المقصد أن الأخبار القرآنية يجب أن تكون اعتقادات قلبية، بحيث أن البصر لا يرى الأشياء إلا من خلال هذه الأخبار. سترى السماوات والأرض والناس والعالم وكل شيء حولك من خلال هذه الأخبار.

لما نقرأ في أول سورة نزلت على النبي ﷺ نقرأ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، هذه الجملة هي بالضبط التي كنا نقول أن الإنسان لما يصل إلى درجة قلبه يمتلئ بالأخبار، يقرأ الكون ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، يقرأه باسم الله. الناس يقرؤون الأشياء باسم ما يفقهون. نفترض أن أحد يراك تلبس ذهب وهو تاجر أو مسوق، فيقرؤك باسم الذهب والتجارة، يقول واضح أنها من عشاقه، ويقلبك ويقرأك بهذا الاسم ويتسلط عليك. مثلا انت كثير كلام وتحكي فيقرؤك باسم أنك ستأتي له بالأخبار المناسبة، وكلٌّ يقرأك باسم ما يفكرون به، كل الناس يقرؤون ما حولهم باسم الشيء الذي يفكرون به.

الله أمر رسوله أن يقرأ باسم ربه الذي خلق، هذا الذي سيقرأ باسم ربه الذي خلق سيقرأ الأشياء بطريقة مختلفة تماما.

الناس يقرؤون ما حولهم من الأحداث والأمور على حسب من أي منطلق ينطلقون.

ننظر إلى الآيات لنتذكر داوود عليه السلام ونتذكر ما بعده:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾

لما حصل الحدث مع داوود -عليه السلام- بغضّ النظر عن تفاصيله، ظنّ أنما فتناه، حصر الأمر على أن هؤلاء الذين تسوروا المحراب وحكوا له كل الموقف، وقلنا أن بعض أهل التفسير قالوا كأن داوود -عليه السلام- صُوِّر له حال من يملك وكيف أنه يمكن أن يصل إلى الطغيان، وكأنه تحذير لداوود -عليه السلام- من أن يكون مالكا فيحصل الطغيان. كيف قرأ الحدث؟ ظن أنما فتناه، ظن أنه لا يمكن أن تجري في الكون أحداث، لمجرد أن تجري في الكون، كما اتفق، إنما ما يجري في الكون يجري وله مقصد. قرأ الأحداث الكونية باسم ربه الذي خلق.

ثم قلنا في الآية السابعة والعشرين ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ هذا عكس ظن الذي في التغابن. في التغابن سمعنا أنها بالحق، وهنا يظنون أنها باطل، هذا الظن يجعلهم يلعبون في كل ميدان. هذا ظنهم الذي من خلاله خرج التصرف، خرج العمل. ربنا يقول ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هؤلاء قرؤوا باسم ماذا؟ هواهم، ظنوا أن السماوات والأرض خلقتا باطلا، الأمور كما اتفق، وانت ظنك أنها خلقت بالحق، فأكيد أن ما يجري من الحداث اقرأه باسم ربي الذي خلق. هذا مجمل كلام المرة الماضية.

إلى أن وصلنا إلى الآية الثامنة والعشرين ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ هذه من القراءة، كيف تقرأ ما حولك من الأحداث؟ كيف تقرأ ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؟ لا زلنا في ما كان وما سيكون وفي الأخبار عن الإنسان، ما زلنا في هذه الدائرة. انظر إلى الأزمة التي نعيشها دائما كلما حصل نوع من أنواع الانهزام النفسي للمسلمين، فتأتيهم هذه المشكلة. رب العالمين يسألك ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ هل تتوقع هذا؟ يجب أن تكون هناك أعمال، هذا الخبر يعدل المقاييس، ويجب أن يكون أثر هذا الخبر أعمال يقوم بها القلب. ما المنفي هنا؟

لا يمكن المساواة بين الذين آمنوا وعلموا الصالحات وبين المفسدين في الأرض، لا يمكن المساواة بين المتقين والفجار. عدم المساواة هذه إذا وصلت إلى حدّ

اليقين الذي يعمل به الإنسان سيكون حال الإنسان في الدنيا وفي الآخرة في المنزلة التي يحملها هذا الاعتقاد.

إذا كنت تعتقد أن الذين آمنوا عملوا الصالحات ليسوا كالمفسدين في الأرض عند رب العالمين، أكيد أن مسلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات لن يكون مسلك المفسدين في الأرض.

مثلا لو أردت أن تحتفل بأي شيء ما ورد في الشريعة الاحتفال به، ونحن عندنا عيدين لا ثالث لهما، تريد أن تحتفل بأي شيء يحتفل الناس به، فتقول لماذا حرام؟ نقول هل تعتقد أن مسلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، إذا اعتقدت أن مسلكهم مثل بعض فلا خطأ أن تعمل مثلهم، إذا كنت تعتقد أن مسلك المتقين مثل مسلك الفجار قم بما تريد، لكن إذا كنت تعتقد أن مسلك المتقين غير مسلك الفجار فستتخذ قرارات سليمة. يجب أن يكون هناك عمل، فلا تقل أنا

أعتقد أن المسلمين لا يساوون الكافرين، والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يساوون المفسدين في الأرض، المتقين لا يساوون الفجار، ما أثر أنهم لا يتساوون؟ ثلاثة أشياء:

أولها أني أرى أنهم لا يساووني ولا أنا أساويهم، ولا أنا أشبههم بأي صورة، أي شيء يجعلني أشبههم سأصبح في جهة أخرى، أنا أهرب من أن أكون أشبههم ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾، تلبس ملابس الفجار وتتكلم كلام الفجار وتتصرف كالفجار ثم تقول ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾، إذا كنت تعتقد أنهم لا يتساوون يجب أن تكون أنت في جهة وهؤلاء في جهة أخرى، بحيث أننا لا نحتاج في هذه المناقشة أن نقول حلال وحرام. وهذا هو الخطأ الكبير الذي يحصل؛ أننا نريد أن نسير في مسلكنا دائما ليس على أساس عقيدتنا، بل على أساس الأحكام الفقهية، وتريد العالم أن ينطق أنه حرام ولماذا حرام، إذا قال حرام تجادله، وتقول هؤلاء العلماء ليسوا متطورين وجاهلين، وتأتي الاعتداءات على الناس.

أنت تعتقد أن هؤلاء لا يساوون هؤلاء، ربنا يقول ﴿أَمْ نَجْعَلُ﴾ أكيد أن منزلتهم لن تكون سواء، أكيد أن هؤلاء في جنات النعيم وهؤلاء في الجحيم، أكيد أنهم عند ربنا ليسوا سواء، وفي الدنيا إذا كنت تشبه المفسدين في الأرض، إذا كنت تشبه الكفار في كلامك وملابسك وتصرفاتك وقراراتك، صار ما تقول أنك مؤمن به ليس له معنى.

نحن نتكلم عن هذه النقطة التي في سورة ص، أن رب العالمين نفى المساواة، وأني معتقدة نفي المساواة، وأن قلبي يعمل بنفس المساواة، أنا متأكد أنهم ليسوا متساويين.

موضوع نفس المساواة من أكثر ما ذكر في القرآن. من أكثر ما ذكر في القرآن أنهم ليسوا سواء، شيء عجيب، لو أردت أن تمر على كل النصوص التي تنفي المساواة تحتاج إلى دورة كاملة فقط حتى تمر على النصوص التي تنفي المساواة. بهذا تفهم إلى أي درجة هذا الموضوع يشكل فكرنا.

ننتقل إلى **سورة القلم**، أول تنبيه أن سورة القلم بعد سورة الملك، وسورة الملك ماذا تقول باختصار؟ الملك لله، ونحن عبيد الله، مؤتمرين بأمر الله، وهو سبحانه وتعالى يصرفنا كيف يشاء. لذلك في سورة الملك مباشرة قبل الموطن الذي سنناقشه أتت القصة التي أصحاب الجنة نسوا أنفسهم وظنوا أنهم هم أصحاب الملك، وباتوا قائلين هذا مالنا ونحن أحرار لا نريد أن نعطي الناس شيء، ماذا حصل؟ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾، مجرد أن حصل عمل القلب حصل الجزاء. هم فقط بيّتوا هذا الظنّ، أن هذه ملكهم وهم أحرار. أن أتصرّف كما أشاء سيأتي الدرس فورا، أتى الدرس وهم نائمون وما فهموه إلا في اليوم التالي.

بعد أن أنهينا هذه القصة ربنا قال: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ على القصة التي صارت لهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، عذاب الآخرة أكبر لهذا الذي ينفلت في اعتقاداته وظنونه، يظن أنه هو المالك وهو الذي يتصرف، وهو حر، إلى آخره.

ثم ﴿إن المتقين في جنات النعيم﴾، رب العالمين يقول ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ انظر ماذا يقول ﴿مَا لَكُمْ﴾ قف هنا على ﴿مَا لَكُمْ﴾، ما الذي اصابكم؟ ما الذي دهاكم؟ ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أن ربنا يجعل المسلمين كالمجرمين؟ لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين، سيضع ربنا كل في مكانه، وأنت في عقلك، في سلوكك، في تفكيرك، في نظرتك، في رضاك، في قراراتك كيف تجعل المسلمين كالمجرمين؟ كيف تطلب أن تشبههم بأي صورة؟ كيف أنت معجب بالمجرمين؟ كيف هذا الفكر وربنا يقول ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ﴾ ما الذي دهاكم؟ ما الذي أصابكم؟ ما الذي أصاب فكركم؟ أنتم تعرفون أن هؤلاء حطب جهنم، تطلب مشابهتهم بأي مناسبة؟

هذه ليست خانة الحكم، بل خانة الاعتقاد، فلا تجرد الفعل وتقول ما حكم لبس كذا؟ هذا هو الخطأ، أنه لما يسأل أحد يجرد الشيء من كونه وصف للكفار، من كونه أمر اشتهر عندهم، من كونه مناسبة يفعلونها، من كون أن الفكرة أصلا ما أتت إلا من عندهم. أجرده وأقول ما حكم فعل كذا. هذا الكلام يمر على المفتي، يمر على الناس، لكن عند رب العالمين أنت ما عملت بهذا الخبر، رب العالمين يقول لك هذا خبر يجب أن تعرف أنه سيكون، أنه لا يمكن أن يجعل المسلمين كالمجرمين، هنا لا يجعل المسلمين كالمجرمين، ولما يلقون رب العالمين لن يجعل المسلمين كالمجرمين، وأنت هل ستجعل المسلمين كالمجرمين؟ إذا فعلت هذا رب العالمين يقول ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ لذلك اقرأ ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾، والآية التي تليها ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾. هل الموضوع باختياراتكم؟ لديكم منهج تسيرون فيه يساوي بين المسلم والمجرم؟

ملخص هذا الكلام أنه في القرآن امتلأت الأخبار عن الإنسان وعما كان وعما سيكون، لما تستقبل هذه الأمور لا تستقبلها على أساس أنها أخبار منفصلة عنك، يجب أن تستقبلها على أساس أنها ظنون أنت تحملها، يجب أن تستقبلها على أساس أنها اعتقادات ستنفعل بها، وهذا سبب أننا لما ننفعل مع الأشياء، أو نتصرف، أو نحب أو نبغض لا يكون منطلق شَغْل الشعور من جهة ما أخبر رب العالمين، إنما من جهة الهوى.

لما يقول أحد هذا الشيء محبب لي، لما تعطي اسم لهذا الفعل، أو لأهل هذا الفعل وتسميهم فجار، أكيد أنه لن يكون شيء محبب لك. لو أن أحد أتى وقال هذا لبس النساء الزانيات، الله يكفينا الشر، بهذا العنوان، هكذا بكل تصريح، هل يمر على خاطرك أن تشتري مثله وتشتريه؟ أبدا! لكن الحاصل أنه نُزعت هذه الأسماء عن هذه الأشكال، ما سميناهم فجار ولا سميناهم زناة، ولا سميناهم، وساوينا المسلمين بهم، ثم قيل لنا ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ على المسائل؟ هل تريدون أحد يقول لكم حرام لتجادلوه؟ أم تريدون أن تمتثلوا لرب العالمين. إذا كان في النفس هوى عالج الهوى لكن يجب أن تعر أن مثل هذا ما فيه فتوى. فيها أنك تعرف أن أي شيء أصبح شعارا لأهل الكفر لما تأتي به تكون جعلت المسلمين كالمجرمين. أي شيء يميز أهل الكفر في فكرهم أو في تصرفاتهم أو في مسلكهم تنقله لنفسك تصبح كأنك صبغت نفسك بذلك.

هنا كثير منا سيقول الحضارة والتقدم، إلى آخره؟ هذه مسألة سهلة جدا في الفهم، وهذا في الهامش فقط لنضبط هذه المسألة. أولا فرق بين أي شيء فيه إعمار للنفس وشيء فيه إعمار للأرض. إعمار الأرض يعني تصنع، تشتري، تبيع، إلى آخره. نبدأ بإعمار النفس؛ أي شيء فيه إعمار للنفس حكرا على الشريعة فلا تذهب يمينا ولا يسارا، فلا يقال تنمية بشرية ولا يقال إرشاد نفسي ولا شيء، النفس لا تأخذها إلا من رب العالمين، لا تعمرها إلا بما جاء من الدين. أما إعمار الأرض في الأصل حق لكل مجتهد، أي واحد يجتهد، ينكب على الأرض، مثلا، ويعرف فنون الزراعة وتفاصيلها وإلى آخره، ربنا يعطيه، ربنا يعلمه، حق لكل مجتهد، لكن هذه الكلمة ليست هكذا على إطلاقها. حق لكل مجتهد، لكن الشريعة وضعت ضوابط في المقاصد والوسائل. حق لكل مجتهد يعني اكتشفوا شيء يفجر العالم مئة مرة، هل هذا حق لهم؟ طبعا لا! الشريعة حتى لما أذنت، أذن الله كونا أن المجتهد له نصيب، سيخترع ويلاقي، لكن أنا لا أستقبل كل شيء منه، يجب أن أرجع المقاصد من مثل هذه وكذلك أراجع الوسائل، فالوسيلة لها حكم المقصد عندنا.

بمعنى هذا التطور هل سيخدم الإنسان أو سيحول الإنسان إلى آلة؟ هذا التطور سيكون في صالح دين الإنسان أو ضد صالح دين الإنسان؟ نعود مرة أخرى ونقول كل شيء نأتي به لإعمار الأرض يجب أن يكون على مقاييسنا، فليس إطلاقا آتي بكل شيء يأتي بإعمار الأرض. لكن في الأصل كل شيء تعمر به النفس، يعني تخاطب به النفس، تربي به النفس، تهذب به النفس، تعلمها به الأخلاق، هذا حكرًا على ما نزل من عند الله، وكل شيء يتصل بإعمار الأرض الأصل فيه أنه حق لكل مجتهد، لكن لما آخذ من هذا المجتهد لا آخذه على عيوبه ومصائبه، يجب أن أفصّله على مقاييسي. وهذه فيها أمثلة كثيرة،

لكن لكي لا نضيع وقت اللقاء سنركز على موضوعنا، لا تظن أننا لن نأتي بالحضارة، لكننا سنأتي بالحضارة بما يناسبنا، أما فيما يتصل بمظهرنا ومخبرنا فنحن عندنا قوانين واضحة، وأبواب مفتوحة، الحمد لله، لكل خير، لا نحتاج أن نستورد من أي أحد أي فكرة، أو أي صورة للمظهر أو أي أسلوب للكلام أو أي صورة للإقناع، كل هذا موجود في الشريعة الغراء.

فهمنا أن رب العالمين قد أخبرنا خبرا مهما، وهو أنه كلما حملت في نفسك عقيدة وأحسنت الظن، كلما تغير أسلوبك وتفكيرك حتى تجاه نفسك وتجاه ما حولك، من هذا نفي المساواة، ربنا أفهمك القانون الذي به يختلف الناس، ما هو هذا القانون؟ أن رب العالمين لا يمكن أن يجعل المتقين كالفجار، لا يمكن أن يجعل المسلمين كالمجرمين. ما دام لا يمكن أن يجعل إذن أنت ستتصرف، هنا توجد أفعال، سنقول ثلاثة أفعال نتيجة إيماني أن ربنا لا يجعل المسلمين كالفجار. من سيفعل هذه الأفعال؟ أنت، أين ستفعلها؟ أولا في قلبك:

الأمر الأول أن تكون متيقنا بهذا الخبر القرآني؛ أن ربنا لا يساويهم ابدا، لا يمكن أن يكون محياهم ومماتهم سواء، هذا مستحيل. الظاهر أنهم في سعادة، كما ينخدع البعض، أولا هذه كذبه كبيرة، من يصل للواقع يفهم أنها كذبة كبيرة، لكن على التسليم أن القوم في رفاهية، سنناقش هذه المسألة، أنت يجب أن تعتقد أنه لا يتساوى المسلم بالمجرم لا في الدنيا والآخرة، لا يمكن أن يكون سواء محياهم ومماتهم، على يقين. لنفكر في محياهم، ويمكن أن يظن أن مثل هؤلاء يعيشون في رفاهية، والمسلمين يعيشون في حالات من الضنك.

يجب أن تضع أمامك على الأقل سورة البروج، مثلما ذكرنا في الدورات الماضية، ماذا تفهم من سورة البروج؟ أن المتسلط والمتحكم والمتمكّن في بداية الأمر المجرمين، ربنا لن يجعل المسلمين كالمجرمين. لكن في القصة أن المجرمين علو على المسلمين، وهذا ليس فقط مساواة، صاروا هم أعلى منهم، وهذا هو الاختبار، هل تؤمن أنت أنهم حتى لو تملكوا ناصية الدنيا، التي لا تساوي عند الله شيء، والتي هي عندك اختبار، سيكون حال المسلم مختلف عن حال المؤمن، حتى لو تملكوا ناصية الدنيا، حتى لو تسلطوا على أهل الإسلام، حتى لو حرقوهم وفعلوا فيهم، سيبقى المسلم مختلف عن المجرم. لنؤكد هذه النقطة الأولى نذهب إلى **سورة الأحزاب** ونجد المنافقين، نرى الآية ٢٢:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢)﴾

الموقف الذي صار في الأحزاب أن الأحزاب أحاطت بالمؤمنين، المؤمنين ظنوا بالهلاك، لما رأى المؤمنين هذا الشيء قالوا ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ يعني أنه لا بد من البلاء ولا بد من الاختبار، والدنيا ليست دار للمؤمنين يرتاحون فيها، وأن من عرف أن منازل الآخرة المرتفعة إنما تكون بمنازل الدنيا التي فيها اختبارات شديدة قالوا النتيجة، الله -عز وجل- قال عنهم ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ﴾ هذا التضييق ﴿إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

نعود للآية الحادية عشر:

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢)﴾

ربنا يصفه أنه زلزال شديد، بهذا تظهر الظنون، ربنا لن يساوي بين المسلمين والمجرمين في وقت الأزمة لا يساوي بينهم، في وقت ما المسلمين نفسهم في حال من الكرب، في حال من الهزيمة، في حال ما المجرمين متمكنين من المسلمين، لا يتساوى المسلم مع المجرم، المسلم عنده من العقائد ما يطمئنه، حتى لو كان ذاهب في طريق الموت، والمنافق والكافر عنده من العقائد ما يفزعه، حتى لو كان في حال انتصار. ماذا قال المنافقين؟ ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾. كن حذر، فعندك اختيارين فقط، إما تقول ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ وإما القول الثاني ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ محك صعب، وكلما زادت الأمور صعوبة وضيق على أهل الإيمان كلما بانت الحقيقة. هل أنت تعتقد أن الله يجعل المسلمين كالمجرمين؟ لا! حتى لو تملك المجرمين ناصية الأمر وتسلطوا على المسلمين، المسلمين غير المجرمين حتى وهم تحت العدوان. لماذا؟ هل رأيت كيف ظهرت كلمة الظن؟ أين ظهرت كلمة الظن؟ في الآية الثانية عشر ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ هذا ظنهم. أهل الإيمان ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾، وليس لما رأوا النصر، بل على العكس، لما رأوا الأحزاب قد اجتمعت عليهم وأنهم بينهم وبين الهلاك هذا الشبر، كانوا سيهلكون. ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ لما رأوا الهلاك قالوا ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ مع أنه كان متوقع، لو لم يكن هناك إيمان وحسن ظن، أنهم سيهلكون، لكان مثلهم مثل المنافقين، لكن لا والله! ما يجعل الله المسلمين كالمجرمين أبدا في ظنونهم في الأحوال التي تمر عليهم، ليسوا مثل بعض ابدا، وهذا أول الفرق بين أهل الإيمان وغيرهم، بين المسلمين والمجرمين، أنهم في وقت الأزمات، في وقت الصعوبات، رب العلمين يسددهم في حسن الظن به. الإنسان بذل جهده في

العلم عن الله، بذل جهده أن يتقرب من الله في الرخاء بذل جهده، ولما تأتي الشدائد ربنا لا يجعلهم كالمجرمين أبدا، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، أنت تعرف الله طول الوقت، لما تأتي الشدة لا يتصرف المسلم مثلما يتصرف المجرم أبدا، هذا بناء على ما تحمله في فؤادك. هذا هو الأمر الأول، هل يجعل الله المسلمين كالمجرمين؟ لا، أبدا والله، في الدنيا والآخرة لا يجعلهم مثل بعض.

نذهب إلى **سورة الجاثية** الآية ٢١ ونتأكد من هذا الكلام تماما:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)﴾

هل هذا تصورك لرب العالمين؟ تتصور ان واحد مؤمن يصلي ويصوم ويعبد ربنا ويذكره ويساله ويطلب رضاه، ويمسك نفسه عن الشهوات، ويبذل جهده في طلب مرضاة الله، وإذا أخطأ تاب واستغفر، وإذا أتته فرصة لطاعته تقدم، وإذا تهاون غضب من نفسه، هل تتصور أن يساويه في محياه ومماته بالكافر الذي يركب هواه؟ لا أتصور يجب أن يصبح شعور فعلي، يجب أن يصبح عملي، يجب أن تشعر أنه أبدا والله، لا ينزل المصاب على أهل الإيمان كما ينزل المصاب على أهل الكفر. أهل الإيمان المصاب الذي ينزل عليهم يمتصّه الإيمان، تعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة، ستقف مواقف تشهد عليها الملائكة قبل أن يشهد عليها الناس. تقف مواقف يرفعك الله فيها عنده بسبب أن رب العالمين اعانك عليها لأنك كنت في وقت الرخاء ممن تمسك بحبل الله، لا يجعل محيانا ومماتنا سواء والله أبدا، والله هذا من سوء الظن بالله الذي يعتقد أن المسلم يمكن أن يكون مثل المجرم.

في سورة الجاثية بعد أن قال سبحانه وتعالى: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ هذه كلها عطايا، ثم ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

أنت مسلم وأكيد أنك تعتقد ان أهل الإيمان أفضل من أهل الكفر لكن تنظر أن ربنا يمكن أن يفضل اهل الكفر على أهل الإيمان، يمكن أن يكونوا أحسن منهم. أو لا توجد مناقشة لهذا الموضوع في داخل في فؤادك، في جلستنا هذه مررنا على سورة ص والقلم والجاثية، وما مررنا على ثلث ما ورد في القرآن من نفي المساواة، في نصوص كثيرة نفيت المساواة حتى تترك هذه الآيات لتحفظها وترددها فقط؟ أو لكي تعيشها؟ أن تعيش أنه لا يمكن أن يتساوى هؤلاء وهؤلاء، هذا من ظنك في الله؛ أنهم لا يتساوون لا في محياهم ولا في مماتهم. اتفقنا في محياهم؛ أنت موجود في الدنيا كما أن الكافر موجود

في الدنيا، تحتاج أن تأكل وتشرب وتنام وتفعل كما هو، تحتاج إلى الأمن كما هو يحتاج الأمن، كل شيء من جهة الحاجات سواء، لكن انفعالك بما يقع عليك من الأقدار ليس مثل انفعاله، أجورك التي تحصل من خلال ما يحصل لك ليس مثل حاله، أنت الشوكة تشاكها يكتب لك بها أجر. ولو ذكرت الله وطلبت الله في تلك اللحظة تضاعفت لك الأجور. تخيل أنك على قدر أنفاسك عندم أبواب للقربى من الله. تاريخ حياتك يترجم فيما بعد بالحسنات، هكذا أنت. ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذه الحياة عبارة عن عدّاد حسنات، أنت عداد حسنات، ثم تأتي التوبة والاستغفار وتمحو السيئات، ويأتي المرض في حياتك أو في آخر حياتك فتلقى الله ما عليك خطيئة، هكذا هذا ذهب طاهر إلى رب العالمين، ومصيره إلى جنات النعيم، ثم يتنافس الناس في الدرجات، هذا أنت. أما هو يمرض، يقع عليه ما يقع، يحصل له كذا، لا شيء! كما في الحديث كالبعير حبسه أهله لا يدري لم حبسوه وأطلقوه لا يدري لما أطلقوه. لكن أنت في كل مرة يأتي الزوار عليك في المرض ويقول شفاء وكفارة، كفارة وأجر، إلى آخره. ويأتون وهم محتسبين أهم إذا زاروك يحصل كذا. تصور أنت كيف حياتك عبارة عن عدّاد للحسنات ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، في مقابل أن أولئك عليهم ما عليهم. إلى أن نأتي إلى لحظة القبض، أنت حياتك ليست مثل حياتهم، أنت تعرف من الذي ينزل على المسلمين، لذلك أنت مشغول بتلك اللحظات، يا رب نزل علينا ملائكة الرحمة لحظة القبض، اللهم آمين لنا ولأحبتنا جميعا يا رب العالمين.

الشاهد أنك فاهم هذا الطريق، تعرف كيف هم ستضرب وجوههم وأدبارهم، وتعرف كيف انت تأتي البشرى لك ويحصل، وأنت مؤنس في قبرك وحاصل لك كذا وكذا ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. هذا غير ما يكون في عرصات يوم القيامة من الأمن، ومن استقبال الملائكة ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، عالم آخر. نحن مثل بعض أناس، مثل بعض في حاجاتنا؛ نأكل ونشرب وننام، لكن نحن مفترقين تماما، بيننا وبين أهل الكفر مفترقين، الصاعدين أهل الإيمان والهابطين إلى أودية الهلاك أهل الكفر. لا تساويهم مثل بعض، ليس النظرة العامة أن كلهم أناس فتشعر أنهم مثل بعض، لا والله! لا نعتقد هذا الاعتقاد في الله، هذا من أسوأ الظن أن تعتقد أن ربنا يساوي بين هؤلاء وهؤلاء.

هذا ليس كلام نحن نقوله، اقرأ القرآن وانظر كم مرة ربنا في القرآن يفهمنا أنه لا يساويهم مثل بعض، لا تعتقد هذا الظن، لا تظنه في رب العالمين، هذا من أسوأ ما يمكن أن يظنه الإنسان؛ أنه يتعب ويبذل جهده ويحارب نفسه ويحارب هواه، ويصبر ويفعل، ثم يصبح مثله مثل الكافر. إذا تكلمت

عن الدنيا لا أحد مثل أهل الإيمان في رضاهم بما قسم الله، لا أحد مثل أهل الإيمان الصحيح في أنهم يتهنون بأقل شيء يرزقهم الله إياه. لا أحد مثل أهل الإيمان في بركات ما يملكون. لا أحد مثل أهل الإيمان في بر أولادهم لهم. لا أحد مثل أهل الإيمان في احتسابهم أجور ما يفقدون، مهما عددنا لا يمكن أن نساوي، كله سيكون فرق، هذا للأعلى وهذا للأسفل. لا يغرك ما يأكلون وما يشربون.

لما تنزل عليك مصيبة من مصائب الدنيا، وتفعل ما يحبه الله من الصبر والاحتساب تصور أن الله يسأل ملائكته، وهو أعلم بما فعل هؤلاء، ماذا قال عبدي؟ إذا قال إنا لله وإنا إليه راجعون، إذا حمد الله، إذا وقع منه ما يحب الله، الله يقول لملائكته ابنوا له بيت الحمد، هل أنت تساوي الكافر؟ مستحيل.

إذا قررنا هذه الحقيقة الأولى أنه يجب في تفكيرك ألا تساوي بين الأمرين، نأتي إلى الحقيقة الثانية:

ما دمت عند الله في كل حالك لا تساوي الكافر، لا تساوه بأي صورة أنت باختيارك. لا تشبهه بأي شبه، تأكد هل هذا يجعلك تشبه الكافر بأي صورة؟ فتنبذه.

نعود للمثال لو قيل أن هذه ملابس النساء الزانيات، والعياذ بالله، والله ما يمر على خاطرنا أن نفكر فيها أو ننظر لها، الله يقول لك أنه ما جعل المسلمين كالمجرمين، لا تساو بينهم في نفسك، يجب من الداخل ترفض ان تشبههم بأي صورة، يجب ان ترفض الشبه. ووضعنا في الهامش الفرق بين كذا وكذا.

تأتي المسألة الثالثة، والمهمة، في يقيننا أن الله لا يساوي بين المسلمين والمجرمين:

أن في هذا الاعتقاد اختبارات. قد يخرج واحد من هنا أو من هنا من أهل الكفر يقول نحن أسعد الناس، نحن نستمتع، نحن نسافر وانظر إلى صحتنا، ورب العالمين قد أخبرنا ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ لا يشوشك هذا، لأنك تعرف تماما لو الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافر، لكنها لا تساوي عند الله حتى جناح بعوضة. بمعنى أنه لو كان مع إنسان عظم، ثم جاء كلب كأنه يريد أن يهجم عليه، فيرميها، هل تساوي عندك شيء؟ لا تساوي شيء، بل ترميها بكل سهولة ولله المثل الأعلى، الدنيا لا تساوي عند الله شيء، لذلك يفتح لهم فيها، فهي ليست الجزاء. هذه مجرد مثل هذه العظمة التي ترمى للكلب بالضبط.

حتى في كتاب الله قد مثل الله هذا الرجل ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾، أهل العلم يقولون هذا لو أعطي من الدنيا يلهث، أو لم يعط منها لا زال يلهث، أعطيته فيجري ويجري ويلهث، وهذا ما يحصل، أنهم يلهثون مثل لهث هذا الكلب، ومن يشبههم سيكون مثل حالهم، لذلك هذا من أكثر الأمثلة استحقارا للدنيا.

ربنا وصف الجارين وراء الدنيا، سواء كانوا كافرين أو شابهوا الكفار، مثل الكلب الذي يلهث ولا يسكت لهثه شيء، ليس لو أخذ من الدنيا يسكت ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ هذا تشبيه انه لو ما أخذ من الدنيا لا زال يلهث، وإن أخذ لا زال يلهث.

النقطة الثالثة في عدم المساواة أن هناك اختبارات لهذا الأمر، أنه قد يظهر لأهل الإيمان في مراحل من حياة الإنسان، أو في مراحل من حياة الأمة، أن أهل الكفر يمكن أن تكون صورتهم أحسن من أهل الإسلام، هذا مجرد اختبار. لذلك رب العالمين كثيرا في القرآن ينبهنا إلى ذلك كما ذكرنا في أول الحجر وفي سورة محمد ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ اتركهم يأكلوا ويشربوا، وفي تصورهم أنهم يتهنون، وإذا بقي من هذا الهناء شيء فليدفع عنهم لما يلقون ربهم! ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ يعلمون الحقائق، أن كل ما تهنوا به لا يساوي شيء.

بهذا استقر عندنا هذا المعنى؛ أن ربنا أخبرنا عما كان وما سيكون. هنا إن كانت المسألة في الظاهر أن الناس متساوين، لكن في الحقيقة هم ليسوا متساوين، هذه الأخبار التي تتكلم عن بواطن الأمور لا تهملها، اجعلها على بالك. نعود لنذكر هذه النقطة؛ اقرأ الكون ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، لا تقصر في القراءة التي توصلك لفهم حقيقة الأشياء التي تحيط بك. من هذه النقطة سننتقل إلى هذا النقاش الذي يدور حول ما كان وما سيكون.

ربنا يخبرنا بأحوال الأنبياء والمرسلين، ويخبرنا عن ظنونهم في رب العالمين، ويخبرنا ماذا فعل لهم لما ظنوا هذا الظن. في مثل هذا الموقف نقول هؤلاء أنبياء، لن نصل على حدهم، أولا يجب أن تؤمن بكمال ظنونهم وتشابههم، لذلك لا تمر على قصص الأنبياء إلا وتفكر ماذا كانوا يظنون في رب العالمين، وما أثر هذا الظن عليهم، نحاول أن نمر على نوح وعلى هود وعلى إبراهيم عليهم السلام بسرعة، ونرى كيف عقائدهم في نفوسهم.

نبدأ بنوح -عليه السلام- ونذهب إلى **سورة يونس** آية ٧١، في الأخبار التي أتت في القرآن ما كان وما سيكون وحال الإنسان، وهنا أخذنا حال الأنبياء وكيف ظنوا في رب العالمين وكيف تحول الظن الذي يظنون في رب العالمين إلى عمل، وهذا هو موضوعنا؛ كيف تتحول الظنون إلى أعمال.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧١)﴾

انظر إلى ظنون نوح -عليه السلام- ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، إذا كنت أعيش معكم وأذكركم بآيات الله وكثر عليكم الكلام، بآيات الله يعني الأدلة الدالة على صدق ما جئت به، ماذا قال لهم؟ ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾، أنتم ماذا تفعلون؟ اجمعوا أمركم كلكم ولا يتخلف منكم أحد، وأحضروا من تعبدون من دون الله، ثم ﴿لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مشتبه وخفي، بل بالعلن قوموا بأي مؤتمر تريدونه، اجتمعوا كما تريدون، وكلكم اجتمعوا وهاتوا أفكاركم التي بها تصلون إلى إهلاكي، ثم ﴿اقْضُوا إِلَيَّ﴾، يعني اقضوا علي بالعقوبة التي بإمكانكم. ما بإمكانكم افعلوه ولا تخبوا ولا تخافوا، ﴿لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾، ولا تمهلوني ساعة من نهار، اجتمعوا تماما.

ما هي هذه العقيدة التي يحملها نوح -عليه السلام- إلى درجة أنه يقول لهم كلكم معا اجتمعوا وافعلوا كل ما تريدون؟ وسنرى كيف تكون النتيجة. المعنى واضح، الكلام أنه لو كانت هناك عقيدة سليمة وظنون في الله سليمة لا بد أن تأتي بأفعال.

من بداية الموضوع نقول، وهذه هي نقطة البداية التي انطلقنا منها أن لا تظن أن العمل في القرآن أن يأمرك بالصلاة والصيام، فتصلي وتصوم، أكيد نحن مأمورين بهذا، لكن ليس هذا فقط نحن مأمورين به. الأخبار عن الله أخبرتنا بأوامر، الأوامر نفسها أوصلتنا إلى معاني، الأخبار عن الإنسان، عما كان وما يكون من أخبار الأنبياء والمرسلين وما يكون يوم القيامة، هذه أيضا أوصلتنا إلى أوامر، نفعل. هذه الثقة في رب العالمين التي أدت إلى أن يقول لهم تعالوا، ماذا عندكم؟ كلكم اجتمعوا و﴿لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ واقضوا علي إن كنتم تستطيعون ذلك.

يقال هذا نبي مؤيَّد، صحيح، لكن نحن نقول من تشبه بقوم كان منهم، وكل النصوص التي تعرفها، لكن هذا ليس كلام يقال، هذه ظنون في القلب تتحول إلى عمل، قصدنا بهذا المثال أن نتصور كيف

الظن يتحول إلى عمل، كيف الذي يحمله عقيدة في قلبه تحول إلى عمل وقال لهم افعلوا كذا وكذا، وصفه لهم نوح عليه السلام.

انظر للآية التي تليها ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢)﴾ وهم في النهاية تولوا وذهبوا وتركوه وما أحد استطاعه، ثم في قصته العظيمة، لو أردنا أن نكمل الكلام عن قصة نوح، سنصل إلى أنه كان يركب سفينة، وكما في سورة هود، الموج كالجبال، لكنه كان متأكد، لم يحسبها حسبة دنيوية، ما دام ربنا أمره وقال له ربنا اركب فيه، نوح -عليه السلام- كان متأكد وواثق أن هذه السفينة قد أحاط الله بها عناية، فهذا الموج سيفعل بالكفرة الفجرة ما شاء الله، ولن يتعدى له. هذا الموج من عباد الله المأمورين الذين ربنا أمرهم أن يفعل في هذا ولا يفعل في هذا كذا، لا يصل إليه، وهو واثق من ذلك.

لذلك لما يأتيك الأمر أنه من يتق الله يجعل له مخرجا، هذا هو الخبر، فلا تظن أنك إذا اتقيته لا يجعل لك مخرجا. حوّل هذا الاعتقاد إلى عمل، وأصلا لن يكون اعتقاد حقيقي إلا إذا وصلت إلى العمل، وإلا سيكون مجرد كلام.

مثلا، لا تدخل الربا على أساس أنه ما عندك منفذ غيره، أبدا! لأن هذا إلى الهلاك اكيد، والصبر على عدم دخوله، هذه هي التقوى، ثم انت متأكد أن هذا الربا ما أتى أمامك إلا لكي تحيد عنه وتذهب للجهة الأخرى وتقول أنا متقي الله وربنا سيجعل لي مخرجا، ليس اليوم ولا غدا ولا بعده، ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ هل تكتب الأسئلة وتظهر النتائج فورا؟ أجب إجابة جيدة، أجب إجابة الواثق. تصورنا نوح -عليه السلام- ومقادر تحويله لهذه المعاني التي كانت في فؤاده إلى عمل.

لنرى هود -عليه السلام- أيضا في **سورة هود** الآيات ٥٤ - ٥٩:

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٦) فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩)﴾

ماذا قال لهم؟ ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هذه هي القوة، أهم شيء أنه سيفعل فعل يشبه فعل نوح -عليه السلام- ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ نفس الثقة، وواضح هنا الانفعال ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أين ناصيتكم؟ ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ هذه العقيدة، هذه الآيات تكررها خصوصا لما يحصل في قلبك خوف من تعدي أحد، وليس التكرار اللفظي هنا، بل التكرار على القلب.

هود -عليه السلام- يخط لنا خط واضح كيف تكون عقيدتنا، ما الذي يجعلك لما تتوكل تكون مطمئن غاية الطمأنينة؟ لأني أظن أن ربي، ورب كل هؤلاء الذين هم أعداء أو هم مانعين .. ربي وربهم واحد سبحانه وتعالى، معنى ذلك أنه لا يمكن أن يدبر لهم ما يضرني، بالذات أنك تسمع ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ مالك لها، قادر عليها، يصرفها كيف يشاء، فأنت لن تضرني أنا في حمى رب العالمين، توكلت عليه، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ كيف؟

هذا تعليل للتوكل من أنهم لا يستطيعون إضراره، هو على طريق الحق والعدل في ملكه، ما يظلم أحد سبحانه وتعالى. أنت على الحق لا تتصور أن الله -عز وجل- يظلم أحد من عباده، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

كن متذكرا الكلام الذي قلناه في سورة البروج، المنزلة في الآخرة تغني عن منازل الدنيا. تصورنا أن عقيدته هي الثقة التامة بالله -عز وجل- من هم قوم هود؟ عاد، من هم؟ ماذا قالوا عن نفسهم؟ ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ هو لوحده وهم كلهم مع شدتهم وما عندهم لكن هو استطاع بما في نفسه من عقيده، بما يظن في رب العالمين أن يواجهه. سنقول أن هذا نبي، صحيح، رسول من عند الله، لكن تشبه به، تشبه بالقوم، قل قولهم وافهم ما كانوا فيه، على قدر ما يكون في القلب من هذا على قدر ما يمدك رب العالمين.

انظر للآية التي تليها ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ لن تضروه أبدا، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب مهيم، لا تخفى عليه أعمال العباد سبحانه وتعالى، هذه عقيدتهم. رأينا أن نوح وهود عليهم السلام يشبهون بعض في كيف أن عقيدتهم ثبتتهم وجعلتهم في حالة من القوة والشجاعة الإيمانية، هذه هي الشجاعة الإيمانية وليس إحساسك بالقوة في نفسك وفيما تملك، بل إحساسك بقوة من تعتمد عليه. هذه المشاعر هي التي تفسر شعورك أن الله الصمد، الشيطان حريص على إدخال المخاوف

والإيمان يصد المخاوف لأن صمدي هو ربي وربه، صمدي الذي توكلت عليه هذه أوصافه، كما سمعنا ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾.

نرى إبراهيم -عليه السلام- ماذا كان يعتقد في **سورة الشعراء** الآيات ٧٧ - ٨٣:

﴿إِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣)﴾

هذه آيات مشهورة نرددها دائما. ماذا كان يعتقد في رب العالمين؟ أولا أنه رب العالمين، لما تسمع رب العالمين، مع تكرارها، لكن أعط نفسك فرصة للتفكير. رب العالمين من حيث الإيجاد، من حيث الإمداد، من حيث العطاء، رب لكل شيء، وأكيد أن الرب سبحانه وتعالى مربٍّ لهذا الكون، قائم عليه، لا يهمله. ثم تأتي أفعال الرب، ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ فيم يهدين؟ وسّع هذه ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وعممها. ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ في قراراتي، في تربيتي لأبنائي، في معاملتي للخلق، في كل شيء، لا تجعلها كأنه يهديني في شأن الدين فهذا ما يتبادر إلى الذهن، يعني يهديني في كل شيء.

لو كنت تائه في طريق تعتقد ان ربنا يهدين، أن ربنا حتى يدلني في هذا الطريق، يهدين كلمة من أوسع الكلمات بحيث أنك تجعل هذا الفعل متصل بكل الحياة، ومنها تأتي الاستخارة ومنها تأتي الاستغاثة. إيمانك بأن كل طريق تسلكه أنت معتمد على الهداية من الله فيه، هذا ما تظنه.

سنقف على كل كلمة ونقول هذه هي ظنوننا. إبراهيم -عليه السلام- ما صار إمام الحنفاء إلا لأن هذه العقيدة هي ظنونه في رب العالمين، هذه هي ظنونه إلى درجة أنها عمت الحياة كلها، ما يذهب يمين ولا شمال إلا وهو معتقد أن ربنا الذي سيهديه.

لما تأخذ قرارات في الحياة هذا أكثر هم تحمله، أذهب به أو لا أذهب، اشتري أو لا اشتري، اتصل أو ما أتصل، كل الحيرة يقابلها أن ربنا سيهدين، أنا سأستغيث به، أنا سأستخير، أنا سأسأله، إلى آخره، كل الحيرة يقابلها أن ربنا يهديني. بقي علي أني أريد أن آكل وأشرب وأعيش، ماذا أظن؟ أن ربنا يطعمني ويسقيني.

مشكلتنا أن الأعمال التي تكفل الله بها الشيطان يشغلنا بها. في هذه المساحة يجب أن تنزع شعور أنك المسؤول عنها، وتردّها إلى الله. وهذا ما عنده مشكلة مع السبب لكن الناس أتوا بالمشكلة، سنقول

في الهامش بالضبط ما هو موضع السبب وهو الاختبار الكبير لنا. لكن ما أصبح إبراهيم الخليل إلا لما هذه المعاني كانت هي المسيطرة على ظنونه، أمام أي حيرة ربنا يهديني.

حتى في تنزله مع الخصم في آيات سورة الأنعام لما قال هذا ربي، هذا ربي، هذا تنزل مع الخصم وهو ما شكّ ولا مر عليه الشك. قال لهم في وسط المناقشة: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾، هو يقول لهم أنا أدلكم ما الطريق، أي شيء تحتارون فيه اطلبوا الهداية من الله، فقط، ولا تتعب نفسك ولا تكثر عليك مستشارين، ولا تحتر ولا تشتكي لهذا ولا تبكي عند هذا ولا شيء، اطلب الهداية من الله.

هذا سوء أدب أن يكون الله مالك الأمر، القريب المجيب يدعوك أن تطلب منه الهداية وأنت تلتفت عنه وتذهب إلى غيره، ماذا تظن في رب العالمين؟

نجوع ونعطش ونأكل ونشرب، إلى آخره. كل هذا ربنا يأتي به. هذا هو الظن ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾، بقي علي إذا أتتني الأمراض، وهذه هي الحياة، يجب أن يكون فيها آلام، أفزع لمن؟ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، أطاعه ليست إلى هنا فقط، يفكر بعد الموت، ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾. قصتي ليست في الدنيا، حتى لما تأتي مخاوف شيطانية أنك لست مقبول، وأنت ماذا فعلت، ابن آدم خطاء، وأنا حتى في هذا أعتمد على الله، أطمع في الله أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين، لكن هذا لما أكون أتيت بالجزء الأول المهم. الجزء الأول يأتي بالحياة، الحياة مليئة بالحيرة ربنا يهدينا، مليئة بالحاجات ربنا يعطينا، مليئة بالعوارض التي مثل الأمراض ربنا يشفينا، وهذه هي الحياة، كلها مع الله، لا شيء فيها بعيد عن الله.

والأسباب؟ من الأول؟ الله الأول أو الأسباب هي الأول؟ أي رزق تريده، حتى اللقمة التي تأكلها أولا اطلب الله وربنا يمدك بالسبب، السبب مثل الطعام. أنت عندك سبب لطعام وعندك طعام، والسبب مثل الطعام بالضبط، الله يمد السبب، الله يعطيك من وراء السبب للطعام. من يعطيك الطعام هو الذي يعطيك سبب الطعام، أنت تطلب ممن؟ أنت تطلب من صاحب السبب، السبب، وتطلب من صاحب السبب النتيجة من السبب ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

المشكلة أننا لا نفهم اختبارنا، والشيطان يشاغلنا، ويجعل هذه همومنا، لكن إبراهيم عليه السلام بهذا أوضح لنا الظنون. ماذا تظن؟ أنه هو رب العالمين، وأنه هو يهديني، وهو يطعمني ويسقيني، وهو

إذا مرضت يشفيني، وهو الذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين. هذه هي ظنونك؛ أتيت بالدنيا والآخرة فيها.

دائما تذكر إبراهيم -عليه السلام- لن نصل إلى منزلته أكيد، لكن اجعل طريقه طريقنا، إذا كان الله يأمر نبيه ﷺ أن يتبع إبراهيم الخليل نقول صعب علينا؟ لا، الكلام سهل وواضح، الخطة تامة الوضوح، محتار؟ ربنا يهديك، محتاج؟ ربنا يعطيك، أتتك عوارض؟ ربنا يزيلها، والآخرة بيد الله.

نختم الدورة بهذا النموذج:

امرأة كانت بالنسبة للدنيا كل الناس يتمنون أن يكونوا في حالها وهي طلقت الدنيا بما فيها، وقالت ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، هذه ماذا كانت تظن برب العالمين؟ ماذا كانت تظن في رب العالمين لما تركت هذا كله؟ تخيل لما يقال هذه ملكة الدنيا، الدنيا كلها تحت يديها، ثم هي تختار، فكر فيها، لا تفكر في الأنبياء والمرسلين، فكر في امرأة يكون ظنها في رب العالمين أنه ينجيها من أظلم ما رأت الأرض من إنسان، تخرج عن عقيدته وتظن في رب العالمين ظنّ الحق، وتطلب من رب العالمين هذا الطلب ويكون هذا هو ما يشغلها، وتتعرض إلى ما تتعرض إليه، فكر فيها.

ضربها الله مثلا للذين آمنوا نساء كانوا أو رجالا، نموذج عليك أن تفكر فيه وتشغل نفسك به، ما ظنها في رب العالمين، هذا هو الكلام. ما ظنها برب العالمين الذي اوصلها لهذه الحالة؟ تبين بالمرور العام في هذه الأحوال أننا نحن نعيش على ظنوننا، ماذا تظن في رب العالمين؟ ماذا تعتقد فيه؟ حول ما تقرأه في القرآن إلى ظن وعقيدة، ثم حوله إلى مسلك. حوّل النصّ المقدّس إلى واقع تمارسه بممر أو قناة، وهي ظنونك، ماذا تظن؟ هود ونوح عليهما السلام ماذا ظنوا في رب العالمين؟ ظنهم هو الذي جعلهم بهذه الشجاعة الإيمانية. لا توجد ممارسات إلا مبنية على الظنون.

نسأل الله -عز وجل- أن يحسن ظنوننا، وأن يجعلنا ممن حسن ظنّه فحسن عمله، فقبله رب العالمين.